كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - الإسكندرية

المذكرات الشخصية

للقمص لوقا سيداروس

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
سبورتنج - الإسكندرية

المذكرات الشخصية

للقمص لوقا سيداروس

اسم الكتـــاب: المذكرات الشخصية للقمص لوقا سيداروس.

الناشـــــــــر: كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس سبورتنج.

إعـــــــــداد: القمص لوقا سيداروس.

الطبعـــــــة: الأولى - أغسطس ٢٠٢١

المطبـــــــعة: Mina Printing

الترقيـم الدولي: ISBN: 978-1-956395-01-3

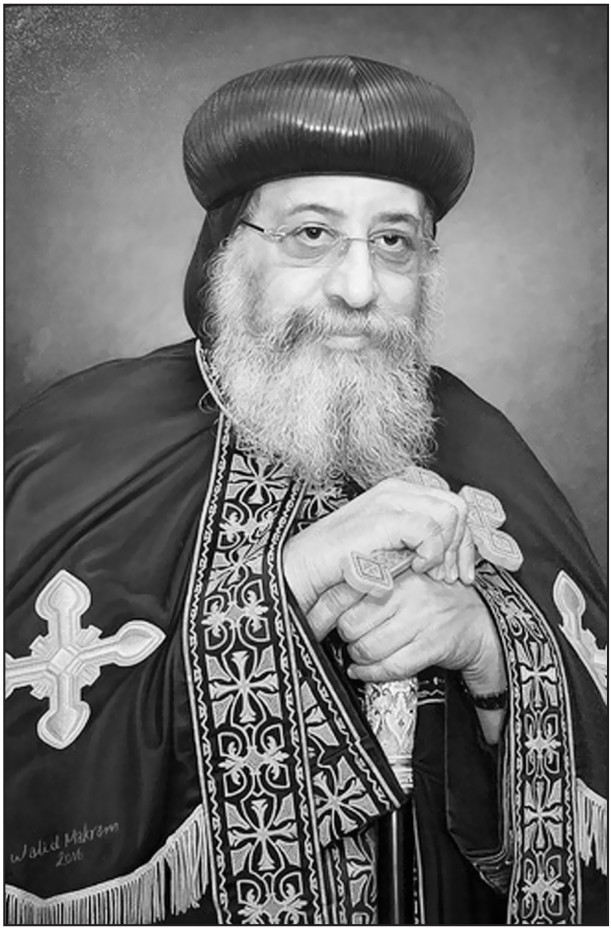

حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ال ١١٨

البابا تواضروس الثاني

مع القمص لوقا سيداروس

إحتفالية يوبيل كنيسة مارجرجس - سبورتنج

الفهرس

المقدمة	٩
الفصل الأول	**١١**
حياتي	١٢
الفصل الثاني	**٢٣**
مدرسة أخرى بالقاهرة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤	٢٤
عظم الرب الصنيع	٣٤
الفصل الثالث	**٣٧**
في الإسكندرية	٣٨
بابا صادق	٤٤
الفصل الرابع	**٤٧**
الكلام عن الكهنوت	٤٨
قصة الكهنوت	٥٠
الفصل الخامس	**٥٩**
الزواج	٦٠
الفصل السادس	**٦٥**
زيارة البابا كيرلس	٦٦
ترتيبات الرسامة	٧٢
يوم الرسامة	٧٢

الفصل السابع ٧٩
الأربعين يوم بعد الرسامة ٨٠
أبونا يوسف مجلي كبير كهنة المرقسية ٨٢
الفصل الثامن ٨٩
مواقف غريبة مع البابا كيرلس ٩٠
الفصل التاسع ٩٥
سفر أبونا بيشوي إلى أمريكا ٩٦
الفصل العاشر ٩٩
قصة سفري إلى لوس أنجلوس سنة ١٩٨٩ ١٠٠
الخاتمة ١٠٥
مسحة الموت ١٠٨
رائحة، هي رائحة الله والسماء ١١٠
تعاملاته مع المرضين والممرضات ١١٠
أنا عطشان ١١٢
الجمعة العظيمة والأخيرة ١١٢
نشكرك على كل حال ١١٣
رسالة تشجيع ١١٤
الآية ١١٤

مقدمة

إلى نفس أبي الحبيب أبونا لوقا...

تبقى ذكريات كلماتك معي خاصة داخل الولايات المتحدة الأمريكية في أعماقي. ففي أغلب المرات التي اتصلت بك كنت تبدأ كلماتك بآية من الكتاب المقدس، ثم تعليق روحي جميل، غالبًا ما كنت أذكر الآية وتعليقك في العظة التي ألقيها.

أرجو في الرب أن يعطيني ويعطي كل المؤمنين هذا التدريب الجميل، ترديد كلمة الرب وتمتعنا بها في حياتنا.

اذكرنا أمام عرش النعمة لنرى كل الكنيسة ملتهبة بكلمة الله،

أخوك في المسيح يسوع

القمص تادرس يعقوب ملطي

الفصل الأول

حياتي

أنا الآن في التاسعة والستين من عمري وأنا أكتب هذه السُطور وقد حباني الله بذاكرة أشكُره عليها. وإذا جلست إلى نفسي وأعود بذاكرتي إلى الوراء يرجع ذلك إلى عام ١٩٤٤: فأنا أعي نفسي من تلك السنْ المُبكرة، كنا نعيش في بيت فقير في حي روض الفرج بجوار سوق الخضار، ثم انتقلنا لنعيش في الزقازيق.

كان والدي - رحمه الله - رجلًا من صعيد مصر بسيطًا وفقيرًا، لكنه كان مستنيرًا، في بداية حياته جارى أنداده من بني جيله وجاراهم في شرب الخمر وتدخين السجائر والسهر خارج المنزل. وكانت والدتي منذ نُعومة أظافرها مُقدسة مُتدينة جدًا، تُحب الرب من كل قلبها وتعيش حياة الكمال المسيحي. فكانت تقرأ الإنجيل فهو عزاؤها ومتعتها ولم تكن تعرف كيف تقرأ في أي كتاب آخر ولا حتى الجرائد. ولكن الإنجيل كان مفتوحًا أمامها تقرأه بفهم ووعي وتحفظ كثيرًا من آياته عن ظهر قلب. ولم يروقها تصرف والدي في شبابه، غير أنه كان يعتبر ذلك مجرد صحبة وأنه ليس هناك شر يُرتكب ولا رذيلة من الرذائل. على كل حال لم يدم ذلك لأن ميول والدي الداخلية كانت طيبة فعزف عن معرفة كهذه.

ثم إذ كان لوالدي ابن أخته (بنت عمه ولكن كانت بمثابة أخت) كان يعمل موظفًا في السكة الحديد (صار فيما بعد مستشارًا رئيس محكمة)، عرض على والدي أن يعمل بالسكة الحديد. كان أبي وقتها يعمل كبائع متجول للأسماك. وكان بالكاد يعول أسرته الفقيرة. قال ابن أخته له. يا خال ربما يكون هذا العمل الجديد يوفر لك عيشًا أفضل ولكنه عمل حقير أنا أستحي أن اقول إنك

خالي أمام زملائي الموظفين. ولكن أبي لم يكن تعنيه هذه الشكلية في حال وهو رجل فقير على كل حال. فقبِلَ وكان ان انتقل على فوره إلى مدينة الزقازيق. وأجَّر لنفسه مسكنًا متواضعًا جدًا بجوار محطة السكة الحديد في حارة سد صغيرة. وكان جميع سكانها مسلمين وهم من طبقة دون المستوى خلقًا وأحوال معيشية.

كانت والدتي - رحمها الله - في ذلك الحين في أواخر العشرينات من عمرها وكانت على قدر كبير من جمال الخلقة وجمال الخلق معًا. فكانت في وسط جيرانها كأنها ملكة جمال. وقدمت لجاراتها محبة بريئة غاية في البساطة، أحبتهم من كل قلبها كفتاة ريفية بسيطة وعكفت في حياتها الخاصة على الإنجيل والتسبيح والتراتيل. وكانت تذهب إلى الكنيسة (كنيسة الملاك ميخائيل في كفر النحال) كل يوم أحد بملابسها النظيفة ووقارها الشديد، وتعود إلى منزلها وكان هذا هو الخروج الوحيد كل أسبوع. وكانت تحفظ ثيابها في رُكن من المنزل على حبل صغير، فكانت تملأ البيت من رائحة البخور. وكانت رائحة ثياب أمي تملأ نفسي بشعور روحي جميل وأنا طفل صغير. وكنت لصيقًا بها وكثيرًا ما كنت أضع رأسي في ثيابها وهي معلقة.

عمل أبي بالسكة الحديد و كان العمل مرهقًا للغاية. ناهيك عن الزملاء، لم يكن هناك مسيحي واحد يعمل في هذا العمل. لأن أخلاق العمال ولغتهم وعاداتهم كانت غاية في السوء والفظاظة. هذه كانت طريقتهم في الحياة. كان أبي في وسطهم كشمعة مُضيئة. كانت لغته مُختلفة عنهم تمامًا وكانت أسرته وطريقة حياته ومبادئه تقع على بُعد شاسع من الهوة التي كان زملاؤه يحيون فيها. لم يكن أبي يعرف القراءة ولا الكتابة. لكن والدتي كانت منذ طفولتها قد تعلمت

القراءة بسبب إحدى المُرسلات الأمريكيات، كانت قد زارت قريتهم بالصعيد وشجعتها على قراءة الكتاب المقدس والصلاة. وكان جِدي لوالدتي شماسًا بكنيسة القرية وكان رجل صلاة وتسبيح حنونًا نقيًا أكرم الله في حياته. فلما تزوج والدي بنت خاله، علمته كيف يقرأ الكتاب المقدس. فلما عمل في الزقازيق، كان باعة الجرائد والمجلات على أرصفة المحطة كمدرسة له إذ أستغل وقت فراغه في القراءة فتثقف بكل أنواع المعرفة من سياسة وأدب وعلم.

التصق والدي على قدر ما ملك من وقت بالكنيسة وكاهن الكنيسة آنذاك (القمص بطرس يعقوب). وكان يُواظب على القداسات كل يوم أحد. ويكرس الاصوام والصلوات على قدر طاقته. وكان في يوم عيد الميلاد، في سنة من أواخر أربعينات القرن الماضي، أن وعظ أبونا بطرس عظة بسيطة عن التقدمات التي قدمها المجوس للرب المولود، وقال إن من الممكن أن يقدم الواحد للمسيح أي شيء ربما عادة ارتبط بها أو شيء تملَّك عليه يمكنه أن يقدمه للمسيح. فتأثر والدي ودخل الهيكل بعد العظة وقال للكاهن أنا عزمت بنعمة المسيح أن أقدم عادة التدخين كهدية في هذه الليلة وأتنازل عنها تماما بعد ثلاثين سنة، وطلب من الكاهن أن يصلي لأجله. وقد كانت هذه الليلة نهاية عهد والدي بالتدخين. ظل والدي يعمل في مدينة الزقازيق من عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٥٧ ثلاثة عشر سنة كاملة. دخلت أثنائها مدارس الزقازيق، مدرسة الروضة ثم المرحلة الابتدائية والإعدادية إلى السنة الثانية بعد التعليم الثانوي. تعلمت معظم هذه السنوات في مدرسة المساعي المشكورة. وكانت مدرسة خاصة يمتلكها الأستاذ بشاي مجلي. وهو

رجل عِصامي من صعيد مصر، بروتستانتي المذهب. وكان يحب والدي ويُقدِّره لأن أبي كان رجلًا مؤدبًا يحترم الآخرين ويسعى رغم فقره أن يُعلم أولاده مهما كلفه ذلك. كان ناظر المدرسة بشاي مجلي رجلا مهوبًا وكان يخافه المدرسون والتلاميذ على حد سواء. وكان كل المدرسين تقريبًا من المسيحين ماعدا مدرس اللغة العربية. وكان أكثر من تسعين بالمئة من التلاميذ مسيحيين. وجدت مرة في حوش المدرسة قلم أبانوس غالي القيمة (٢٥ قرش في ذلك الوقت). فذهبت إلى حُجرة الناظر وسلمته له، سألني عن اسمي وشكرني. وفي صباح اليوم التالي في طابور الصباح، ناداني فذهبت خائفًا، فشكرني ومدحني أمام المدرسة كلها وأعطاني هدية خمس كراسات كُتب عليها هدية للتلميذ الأمين فلان الفلاني. احتفظت بهذه الكراسات. ثم انتقلت إلى مدرسة أخرى في السنة الثانية ثانوي لأنني اخترت تخصص رياضة، لم يكن موجودا بمدرسة المساعي. حاول مدرسو وناظر المدرسة أن يقنعوني بأن أتخصص علوم وهذا متوفر في مدرستي فلم أقبل. حاول والدي فرفضت أيضا.

كانت المدرسة الجديدة، مدرسة يملكها ناظر مسلم، رجل قوي، فؤاد حلمي، كان معظم مُدرسي المدرسة مسلمين ولم يكن بالمدرسة طالب مسيحي واحد من تعداد الطلبة البالغ ٦٠٠ طالب.

ذهبت إلى المدرسة فوجدت جوًا جديدًا لم أكن بمتعود عليه، فقد قضيت كل سنواتي السابقة في مدرسة مسيحية بمدرسيها وطلبتها. في الأسبوع الأول لوجودي بالمدرسة، جاءت وقت حصة الدين. كتب المدرس (الشيخ سيد) على السبورة دين.

رفعت يدي، قال المدرس - ماذا تريد؟ قلت أخرج من الفصل؟ قال لماذا؟ قلت أنا مسيحي. قال وإيه يعني؟ قلت له هذه حصة دين إسلامي وأنا مسيحي. اغتاظ المدرس وقال اجلسْ مكانك، قمت وذهبت نحو الباب. فقال لي المدرس – لماذا لا تسلم وتترك هذا الكفر؟ اقتربت من المدرس، وكنت وقتها ١٦ سنة من العمر وكنت قصيرًا نحيفًا، أمسكت بكتفي المدرس وقلت له ما تيجي نعمدك وتصير مسيحيًا؟ شتمني وضربني بالشلوت وطردني خارج الفصل. وجدني الناظر في الحوش وكان يمسك عصا غليظة، جاء نحوي وهو يصيح أنت في الحوش ليه؟ قلت له أنا مسيحي والفصل يدرس حصة دين. قال لي هو أنت المُحوَّل من مدرسة المساعي؟ قلت نعم. قال ماذا أعمل لك، مفيش لك مدرس دين. اجلس هنا إلى أن تنتهي الحصة. عندما عدت من المدرسة سألني والدي عن المدرسة وكيف الحال. حكيت له قصتي مع الشيخ سيد. وكان الرجل يسكن في ذات الشارع الذي نسكن فيه. وكانت المنطقة منشأة حديثًا من منازل ريفية بسيطة أقيمت وسط الحقول. في غروب ذلك اليوم، كان أبي عائدًا من عمله، فمر بمنزل الشيخ سيد، فوجده جالسا بجلبابه الأبيض أمام منزله. تكلم معه أبي بغضب وقال له ماذا فعلت مع ابني في المدرسة ولماذا تشتمه بالكفر؟ الا فاعلم أن عدت إلى عملك هذا فسوف تجني أمرَّ الثمر. اعتذر الرجل لوالدي، وقال له إن الولد استهزأ بي أمام التلاميذ وقال لي احنا نعمدك وتصير مسيحيًا. فوجئت في اليوم التالي أن مدرس اللغة العربية والدين في الفصل هو مدرس آخر غير الشيخ سيد وانتهى الأمر.

عملت نشاطًا ملحوظًا في المدرسة. عملت مجلة حائط وأخذت حديثًا من ناظر المدرسة. وصرت في علاقة طيبة مع المدرسين وكان جميع التلاميذ يحبونني. وانتهى العام الدراسي وتفوقت على كل تلاميذ المدرسة وكانت درجاتي الأعلى على منطقة الزقازيق كلها.

كان أبي قد ضاق به العيش في الزقازيق وفكَّر في الرجوع إلى القاهرة. وهكذا في صيف تلك السنة ١٩٥٧ انتقلنا إلى القاهرة وعاد أبي يعمل في تجارة للأسماك مع بعض أقاربه. ذهب أبي إلى الزقازيق ليحوّل أوراقي إلى مدرسة الايمان الثانوية بالقاهرة ولكن فوجئ بناظر المدرسة فؤاد حلمي يرفض رفضًا باتًا تحويل الأوراق. ويتمسَّك بي قائلًا إن هذا الولد ثروة يجب أن أحتفظ بها. سأصرف عليه بنفسي وأتكفَّل بسكنه وكافة مصروفاته حتى يحصل على الثانوية العامة فهذا شرف للمدرسة.

ما أذكره من هذه الفترة من عام ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٥٧ هو ما للطفولة في براءتها الكاملة النقية، ثم ما يمر به الطفل من مراحل النمو، وما يتعرض له من مواقف وما يصادفه من أناس صالحين وطالحين على حدٍ سواء. أذكر أول مرة أكذب في حياتي قد أكون في الخامسة أو السادسة من عمري. كانت أمي رحمها الله قد أرسلتني لأرى هل يوجد قداس بالكنيسة يوم الأحد، لأن الكنيسة كان يجري فيها أعمال تركيب بلاط. فلما ذهبت وكان القداس يُقام، كذبت على أمي وقلت لها لا يوجد صلاة بالكنيسة. وكنت يومها لا أريد أن أمي تترك المنزل. يومها أحسست إحساسًا قاتلًا من الحزن والندم لازلت أذكره حتى اليوم. والآن أدرك كيف توسخ الخطية نقاء الثوب الأبيض داخل النفس. كنت مطيعًا لوالدتي طاعة

مُطلَقة وكانت تحنو عليَّ وتعطف بحبٍ لا يوصف. لما كبرت قليلًا ربما في سن ١٢ سنة، كنا قد بنينا بيتًا صغيرًا بإمكانيات بسيطة على قطعة أرض مقتطعة من حقل في طرف من أطراف الزقازيق. وكنت أساعد في حمل الطوب للبناءين وجلب المياه وتحضير المونة. كان المبنى بالطوب الني والمونة من الطين والتبن. لذلك عندما أقرأ في سفر الخروج عما جاز فيه بني إسرائيل في عمل اللبِن أفهم ذلك بطريقة عملية وأدرك مدى المعاناة. أشكر الله أنه أجازني في مثل هذه الظروف. كنت أخرج مع الفتية في مثل سني نقش عيدان الحطب وفروع الشجر من أماكن بعيدة ونحملها إلى المنزل لأن أمي كانت كل أسبوع تعجن وتخبز بنفسها وكان الرب قد منحها صحة تكفلت بخدمة أسرتها التي كان يتنامى عددها كل سنتين. لأنها أنجبت خمس بنين وبنتين غير ثلاث بنات افتقدهم الرب وهن صغار.

حباني الرب عقلا راجحًا في التعليم فكنت متفوقًا في كل سِّني دراستي. بل إنني بدأت في سن الثانية عشرة أن أساعد التلاميذ المُتعثرين، أعطي دروسًا خاصة بأجر. كانت مِهنة التدريس تستهويني وأنا بعد صغير. درَّست أخي الصغير في البيت وهو يصغرني ٦ سنوات ووفرت عليه ٣ سنوات الروضة. استخدمت ظهر طشت الغسيل كسبورة وكنت أحصل على بعض حجارة الجير من الشارع أستعملها كطباشير وأدرِّبه وهو كان منذ طفولته وديعًا خاضعًا وقد حباه الرب هو الآخر عقلًا راجحًا وذكاء فذًا. لما بلغت السادسة عشر من عمري، كان لدي حوالي ٦ تلاميذ أُدرِّسهم درسًا خاصًا بأجر.

قدم إلى المنطقة التي كنا نسكنها في حوالي عام ١٩٥٣ أحد القسوس الإنجيلين (القس سامي لبيب عبد المسيح) وكان يتبع

كنيسة المسيح. في البداية بدأ يحضر القداسات في كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل في كفر النحال. يقف في الصفوف الخلفية. وفي نهاية القداس يتعرف على واحد أو اثنين ثم يدعوهم إلى منزله. ومن ثم كوَّن مجموعة بدأ بها اجتماعاته. مع مرور الأيام بنى كنيسة وزاد فيها عدد الأعضاء الذين أجتذبهم من الكنيسة القبطية في غفلة من راعيها. وكان يزور البيوت المجاورة، تعرَّف علينا وكان يزورنا ونحن أسرة فقيرة جدًا يفتح الإنجيل ويتكلَّم. كنت أحضر اجتماعات، وكانت معرفتي بالإنجيل والكنيسة ضعيفة جدًا ولكنني كنت أحب كنيستي حبًا جمًا. فكنت رغم حداثة سنِّي وقِلة معرفتي أجادله كثيرًا. وأحاوره مرات حتى أثناء الاجتماع وكان الرجل طيبًا وديعًا جدًا لا يصطدم بأحد. وبحسب عقيدته كان كثير الصلاة نقيًا. فنشأت بيننا علاقة محبة ولكن لم يقدر أن يزحزح أحدًا من أسرتنا عن إيماننا وأورثوذكسيتنا. وقد امتدت علاقتي بالقس سامي لبيب بعد أن عُينت معيدًا في كلية الهندسة. جاءني وقابلني في الجامعة من أجل مصلحة. وبعد أن صرت كاهنا...

من الأحداث التي لا أنساها وأنا في السادسة عشرة من عمري، كان من بين الجيران أسرة مسيحية وكنا كصبية نتقابل في الأجازات ونلعب الألعاب التي كانت بسيطة بحسب الإمكانيات مثل كرة القدم والطاولة والشطرنج. وكان بين الأولاد ولد يكبرني بسنتين. جاء يناديني يوما فخرجت للحال أجري للقائه. وكانت والدتي واقفة على سطح منزلنا فبدرت من الولد حركة أو كلمة نابية لا أذكر. فلاحظت أمي ذلك، فنادتني مرة ومرتين ولكني لم أعبأ بنداها. وجريت مع الولد لأننا كنا على موعد للعب الكرة، قضيت وقتًا، ثم

رجعت إلى المنزل مع غروب الشمس. كان والدي، رحمه الله، قد عاد من شغله. فقابلني على غير عادته غاضبًا وأنبني على عدم طاعة والدتي. وضربني – كانت هذه المرة الأولى والأخيرة - ولست أذكر أنه ضربني كمثل ذلك من قبل. إذ كان يكفيني أن ينظر نحوي حين أُخطئ أو أن يوبخني بكلمة. فكانت الكلمة من والدي تترك أثرًا عميقًا في نفسي. ولكن هذه المرة ضربني ضربًا موجعًا حتى البكاء وحذرني أن أعرف هذا الولد كصديق فيما بعد ولا أختلط به. حاولت مرات كطفل أن ألعب مع صديقي دون أن يراني أحد ولكن في كل مرة كان يكتشف أمري وكنت أندم وبعد وقت ليس بكثير تركنا مدينة الزقازيق ورجعنا إلى القاهرة وانقطعت صلتي بهذا الاخ وانقطعت أخباره عني وكذا أخباري عنه.

وبعد سبع سنوات كنت يومها تخرجت من الجامعة وعملت معيدًا في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية وفي إحدى اجازاتي وأنا في القاهرة، ركبتُ أتوبيس وجلست بالدرجة الأولى ثم جاءني الكومساري يطلب تذاكر. أخرجت نقود لأعطيه. رفعت عيني نظرت إليه وإذ هو صديقي القديم. صحتُ هاتفًا...فلان... فبادرني قائلا نعم وأنت فلان... تعانقنا وسأل كل واحد فقال لي أين أنت الآن... قلت له في الإسكندرية أعمل معيدًا في الجامعة...وسألته وأنت؟... قال بأسى.. زي ما انت شايف. وبعدها جاءت محطة نزولي فنزلت قاصدا منزل أبي. يومها أمسكت بيدي أبي أقبّلها وقلت له يدك التي ضربتني صغيرًا هي التي صنعت بي هذا الخير كله، وحدثته عن صديقي كمساري الأتوبيس الذي رأيته. كثيرًا ما يتعرض الصغار للغوايات من كل نوع – بحسب الخلطة مع الأقران وبحسب ظروف

البيئة. كنا نقضي وقتًا كبيرًا بين المزارع للمذاكرة، نسير خارج المدينة كلٌ يحمل كتابه، نتوزع في الطرق نذاكر ونحفظ بالصوت العالي إذ لم تكن البيوت تصلح لهذا. وكنا نتقابل، وكثيرا ما كان يضيع الوقت في الكلام والمسامرات الجيد منها والرديء. ثم يحلو للبعض منا إذا صادف شجرة مثمرة عنب أو فاكهة، كنا نراقب المكان ونمد أيدينا إلى الفاكهة حتى في غير أوانها أو قبل أن تنضج. وكان إذا رآنا أحد، نركض فارين قبل أن يوقعوا بنا الأذى. وأذكر أنني في غروب شمس يوم من الأيام، خرجت أنا وبعض من معي على حقل مزروع من الذرة، وقطعنا من قناديل الذرة شيئًا، وكان ذلك يُحدِث صوتًا شديدًا، فنبه أحد القائمين في الحقل من الخفير إلى وجودنا فجروا وراءنا. وبالكاد نجونا من أيديهم وذهبت إلى منزلنا ومعي بعض كيزان الذرة. وقد سألتني والدتي رحمها الله عن مصدر هذه، فكذبت عليها وقلت إن بعض الفلاحين أهدوا لنا هذه، ولم تقتنع والدتي إذ شعرت بروحها بعدم الحق. وفي ذات المساء، جاء من يخبرني بأن بعض الصبيان قطعوا من الحقل المجاور كيزان الذرة وجرى الخفر وراءهم ولو كانوا أدركوهم لقتلوهم. أحسست يومها بفضيحة جسيمة ومن يومها لم أقترب من هذا الحقل وكنت أمشي بعيدًا خوفًا مما سمعت. ولكن من طريف القصص أن دارت الأيام دورتها وانتقلنا إلى القاهرة ودخلت الجامعة وتخرجت وعملت معيدًا في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية. وكنت أساعد بعض الطلبة في مادة الميكانيكا التي أُدرّسها، كدروس خاصة، واتفق أن كان أحد تلاميذي الخاصين يتحدث معي بعد الدرس، فتعارفنا، فعرفت أنه من مدينة الزقازيق، ثم كلمني عن عائلته وأملاكهم. فعرفت أن والده كان صاحب حقل الذرة، ثم رجعنا إلى حكايات

زمان، فذكر لي حادثة الخفر الذين جروا وراء الصبيان الذين سرقوا الذرة من الحقل، وكيف أنهم كانوا يختبئون ويكمنون لهم ولو حدث أن أمسكوهم لحدث ما لا يُحمد عقباه. رفعت نظري نحو السماء، وقلت آه يارب كيف دبرت لي هذا الاعتراف بخطئي وأمحو من ضميري هذا الوجع. قلت لتلميذي، أتعرف من الذي سرق حقل أبيك؟ قال ضاحكًا: لأ طبعا، قلت له: أنا الذي فعلت هذا. قال وقد استولت عليه دهشة عظيمة، ده الحقل كله وصاحب الحقل مِلكك. قلت لصديقي أنني أحسست الآن أنه كان عليَّ دين كبير وقد سددت الدين باعترافي هذا. فضحك التلميذ وقال إلى هذه الدرجة أنت متذكر هذه الواقعة؟ قلتُ نعم. ثم صافحته وذهبت في طريقي وقد شعرت براحة عجيبة أن الله الصالح الطيب دبَّر لي هذا الأمر بشبه اعجاز.

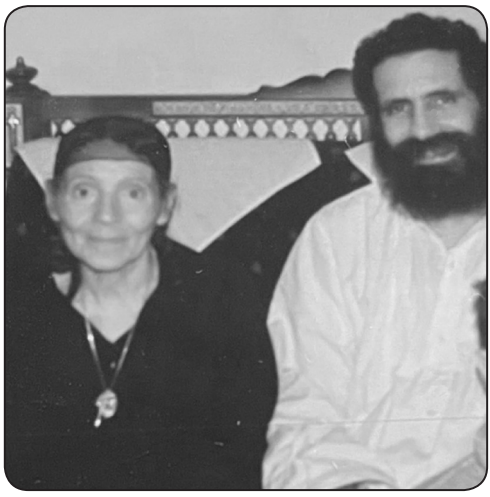

أبونا ووالدته

الفصل الثاني

✤ مدرسة أخرى بالقاهرة من ١٩٥٧ إلى ١٩٦٤.

انتقلنا من الزقازيق إلى القاهرة، كان العيش قد ضاق بأبي في مدينة الزقازيق. فعاد إلى القاهرة بمفرده لمدة بضعة أشهر عمل أثناءها مع ابن أخته وجيرانهم وأصدقائهم كبائع أسماك مُتجول. وكان يعود إلينا في الزقازيق مرة كل شهر واستقر رأيه أن ننتقل إلى القاهرة ربما تكون هناك ظروف أفضل مما نحن فيه. انتقلنا في صيف ١٩٥٧ وعرض المنزل الذي بناه للبيع وباعه بمبلغ زهيد حوالي ٥٠جنيها. وفي القاهرة، استأجرنا منزلًا صغيرًا من حجرتين وصالة وبدأ والدي يعمل جاهدًا ليعول أسرته الكبيرة. كان حظ والدي من الدنيا قليلًا. كان فكره مستنيرًا أكثر من أقرانه ولكن كانوا هم أكثر حظًا من جهة نجاح تجارتهم. لما وجدتُّ ما يمر به والدي من ضيق الحال، ذهبت معه إلى سوق السمك، سوق الجملة حيث يحصل صغار الباعة الصغار على كمية السمك وينزلون بها إلى شوارع شبرا أو الأحياء الأخرى لبيعها ليحصلوا على مبالغ زهيدة بالكاد. وطبقًا لكل فئة من فئات المجتمع ولكل مهنة من المهن أعراف وأسرار الصنعة وطريقة التفكير والحياة والمعاملات بل واللغة والمفردات وكأنك أن اندمجت في إحدى هذه الفئات، صرت في بلد مختلف يتكلم بلغة مختلفة وله قوانينه وأصوله التي لا يعرفها الغريب. اندمجت رويدًا رويدًا في هذا المجتمع حتى صرتُ بعد وقت قليل كواحدٍ منهم تمامًا.

صرتُ أشتري كل يوم من تُجَّار الجملة، كأني أحد صبيان أحد المعروفين لدي التجار الكبار، فكانوا يعطونني بضمان أحد الأحباء وكنت أسدد الثمن في اليوم التالي. تدربت وتمرست في المعرفة حتى كنت أتسوق واستلقط شروة فيها لُقمة عيش. وكنت أرُص السمك في مشنة كبيرة (يسمونها العيار) وأضع عليه قليل من الثلج المكسر وخيشة تحميه من الشمس وأحمل هذا على رأسي وأسير حافي القدمين من دير الملاك (حيث سوق الجملة) إلى شوارع وحواري شبرا حيث المنطقة التي أعرفها. وأنادي بصوتي العالي على ما عندي من أصناف السمك. وهكذا كنت أقضي ٧ أيام الأسبوع من صيف ١٩٥٧. كان المجهود مضنيًا فجسدي ضعيف ولم أكن معتاد على الشيل، فمرات كان يصل بي الأمر أنني أحس أن رقبتي تكاد تنقسم. وقد ترك العيار أثرًا في فروة رأسي لأنه كان يجرح رأسي ومع توالي الأشهر صار الجزء الأعلى من رأسي كأن به كالو من كثرة ما جُرح والتأم. ومازال هذه الأثار في رأسي حتى اليوم من صيف ١٩٥٧ إلى أن بدأت الدراسة في مدرسة الإيمان الثانوية في الصف الثالث الثانوي. كنت أعمل لأساعد أبي في بيع السمك. وفي الأيام التي يكون فيها السمك شحيحًا وسعره غير مناسب، كنا نذهب إلى سوق الخضار والفاكهة بروض الفرج ونشتري ما هو مُتاح من مانجو أو فراولة أو خضار أو ورق عِنب وحتى الثوم والخرشوف، ثم أطوف شوارع شبرا المحيطة بالمنطقة أبيع. كان هذا العمل شاقًا جدًا. طول النهار مشي مع حَمل أحمال ثقيلة وكنت ما أحصل عليه

في اليوم من نقود قليلة كان يساعد في معيشة الأسرة الكبيرة المكونة من ٩ أفراد.

مواقف كثيرة واجهتها، كنت قليل الخبرة في معرفة الناس ولكن كان الرب ينجي مما أتعرض له من ناس غير مقدَّسين أو عُنفاء أو.... إلخ حصلت على الثانوية العامة. ومع أنني قضيت آخر شهرين في الدراسة اذهب إلى سوق السمك من الصباح وانتهي من عملي مع المساء، ثم أبتدئ أذاكر على قدر الوقت والجهد. ولكن الرب بارك في تعليمي فنجحت والتحقت بكلية العلوم. لم انتظم بالقدر الكافي في الكلية ولذلك لم أحصل على ما يكفي لنجاحي، كنت أدرس أربعة مواد في كل تيرم، طبيعة ورياضية وكيمياء وجيولوجيا. لم أنجح في أول تيرم إلا في الطبيعة وفي التيرم الثاني في الرياضة. كانت أمور الأسرة في شديد الحاجة لمساعدتي. كنت معظم السنة أعمل. وجاءت الإجازة الصيفية وواصلتُ العمل. وبدأ العام الدراسي الثاني، لم يكن معي مصاريف الكلية، كانت مصاريف نصف السنة ١٤ جنيه وهو مبلغ كبير جدًا في ذلك الوقت. لذلك تغيبت عن الحضور في النصف الأول من العام الثاني، ثم النصف الثاني، لذلك تم فصلي من الكلية. فسلمتُ أمري إلى الله. حاولت البحث عن أي وظيفة أو عمل بالثانوية العامة، طرقت كل الأبواب، دون جدوى.

كم قضيت ليالي باكيًا حزينًا، كان المستقبل مظلمًا.

مرات كثيرة بينما كنت أتجول أبيع السمك، كنت أُفاجأ بأن الشقة التي أبيع لهم، هم أسرة أحد زملائي. ولكن كان منظري بجلبابي المهرول والطاقية فوق رأسي ورائحة السمك وقدماي الحافيتين يبعدان الظن أن أكون هو فلان الزميل في الجامعة أو زميل المدرسة. على أن ذهني ظل متوقدًا لاسيما في مواد الرياضة التي كنت أعشقها وقد حصلت في الثانوية العامة على الدرجات النهائية فيها. فكنت أحيانا عندما أجد شبانًا خارجين من امتحان الثانوية وهم يجادلون بعضهم في المسائل التي امتحنوا فيها، كنت أقف بمنظري المهان وأقول يا أولاد أروني ورق الامتحان فأحل لهم المسائل في دقائق فكانوا يذهلون من ذلك المنظر. وفي السنة الثالثة أي عام ١٩٦٠ كنت أذهب إلى كنيسة السيدة العذراء بروض الفرج مع مجموعة من الأقارب والأصدقاء كلهم بائعي أسماك متجولون. كنا نذهب الى إجتماع للعمال والمهنيين في مساء كل يوم اثنين. كان قد تعهده شاب من مصر الجديدة اسمه ميشيل أمين، كانوا يرتلون ترتيلة بسيطة تناسب قامة هؤلاء البسطاء ثم يصلون ويتكلم الأخ ميشيل بكلمات بسيطة جدا عن فصل من الكتاب المقدس.

كنت أذهب معهم وكانت هذه جرعة بسيطة تعوِّض شيئًا ما من عدم حضور الكنيسة بسبب العمل اليومي والتعب المستمر.

في مارس، حضر مع الأخ ميشيل شاب آخر من مصر الجديدة اسمه كمال برسوم، كان في بكالوريوس طب. كان الأخ كمال قد حدثت في حياته صدمة عنيفة بسبب وفاة أخيه الأصغر

في حادث سيارة، كانا هما الاثنان ابنين لطبيب عيون مدير مستشفى الرمد بالشرابية. وكانا يعيشان حياة لهو الشباب بحسب جيلهم وبحسب إمكانياتهم المادية، وحياة الشباب في مصر الجديدة في ذلك الوقت. وقد أثر هذا الحادث على الأخ كمال تأثيرًا عميقًا جدًا وأحاطه مجموعة من شباب كليته المتدينين وصاروا يصلون معه، فتعرف على الكنيسة وصار يكرّس معظم وقته للخدمة، وتعرف وقتها على الأنبا شنودة وأبونا متى المسكين في حلوان وعلى رواد وخدام مدارس الأحد. فكان أن أحضره الأخ ميشيل إلى إجتماع العمال هذا مرة ومرتين، لم يكن الأخ كمال يتكلم فهو ليس واعظًا ولكنه كان يُحضر الأخ ميشيل في سيارته الخاصة. وكان هذا منظر غير مألوف أن يكون أحد خدام مدارس الأحد يمتلك سيارة. وبعد الاجتماع وقفنا مع الأخ كمال فسألني من أنا وماذا أفعل. فلما علم أحوالي ودراستي وأنني تركت الجامعة وفُصِلت من كلية العلوم ولم أعد أذهب، هاله الأمر. وقال لا لا يمكن، هذه خسارة كبيرة أن تظل هكذا. لابد أن ترجع إلى الكلية. قلت ولكن أنا مفصول. قال هذا أمر بسيط.

قلت كيف يكون هذا؟ الآن أنا نسيت كل شئ. ونحن الآن في فبراير، باقي شهرين على إنتهاء العام الدراسي. ثم إنني فقير جدًا، ليس لدي مليم من رسوم الجامعة. قال متحمسًا، كله سهل على ربنا، أنا والدي صديق مدير الجامعة بعين شمس وأنا ها كلمه وربنا يعمل الصالح. غاب الأخ كمال يومين ثم وجدتُ سيارته تقف

أمام منزلنا في حارة الطرابيشي، جلس قليلا معنا في منزلنا الفقير. ثم أخذني على ناحية وقال والدي تكلم مع مدير الجامعة وهو في انتظارك غدا الساعة ١١ صباحًا. قلت أين؟ قال في مكتبه في إدارة الجامعة في قصر الزعفران بجوار كلية العلوم، قلت أنا عارف المبنى. ذهبت في صباح اليوم التالي وسألت عن عبد العزيز بك، فقادوني من طابق إلى طابق في طرقات المبنى وكان المبنى هو أحد قصور الملك فاروق، فاخر في المبنى والطراز. وأدخلوني الى الباشا، نظر إليَّ بعطف وقال اجلس يا بُني. أنت مين؟ قلت له أنا فلان الفلاني. ما هي قصتك؟ فقلت له باختصار كل ما يخص حالتي. رفع سماعة التليفون واتصل بالدكتور فارس عميد كلية العلوم وقال له يا فارس، قال نعم يا باشا، قال له أنا هابعتلك دلوقتي ولد اعتبره ابني الخاص. اكسر كل القوانين وأعدْ قيده في الكلية. أنت فاهم؟ قال له أمرك يا باشا.

حييت الرجل وذهبت الى عميد الكلية الذي استقبلني باستغراب كثير وقال لي أنت منين؟ ووصلت للباشا إزاي؟ اقعد هنا، حكايتك إيه؟ دق الجرس، استدعى مُسجِل الكلية الأستاذ أنور، طلب منه ملف أوراقي، أحضره الرجل على الفور. وفيه مُسجَل غيابي السنة الماضية بالكامل ورسوبي السنة التي قبلها وقرار بفصلي من الكلية بسبب الغياب بدون إذن كأنني حاصل على ضعيف جدًا في جميع المواد.

قال العميد، الباشا مدير الجامعة عاوز يرجعه ويلغي قرار الفصل، قال المُسجِل أمرك يا بيه. قال ما هو العمل؟ قال يُحضر شهادة طبية ويذهب بها للقومسيون يعتمدوها ثم يَحضر لسيادتك ورئيس الجامعة يُصدق على قرار إعادة قيده. رجعت إلى بيتي وأنا في ذهول. كيف يكون هذا في يوم وليلة. اتصلت بالدكتور كمال وأخبرته بما حدث. أتاني ثاني يوم بشهادة طبية من مستشفى خاص بتواريخ السنة الماضية. ذهبت بها، كان والده قد اتصل برئيس القومسيون وأكد له رغبة رئيس الجامعة. اعتمدوا الشهادات أعادوا قيدي في ١٩٦٠/٤/١. ذهبت إلى الكلية، كانت آواخر أيام الدراسة وكنت قد نسيتُ تمامًا كل ما يمِتُّ للدراسة بصِلة.

قال لي الدكتور كمال، الآن أمامك شهر واحد، أنا عايزك تأكل الكتب أكل. وربنا هيساعدك. حضرت آخر مراجعة في المعمل في مادة الكيمياء. كان المعيد الموكل بالمراجعة اسمه الدكتور بديع، كان إنسانًا مسيحيًا متواضعًا. حاولت أسترجع شئ، أخذت ورقة ترشيح عملتها كقرطاس لكي أرشح بعض الأملاح. لمحني من المنصة، جاء الي مسرعا وقال إيه ده يا أستاذ؟ قلت إني كنت متغيب لمدة عام وأنا سأمتحن في نهاية السنة. قال لي برفق، ليس هكذا يصنعون ورقة الترشيح. وساعدني بقدر ما استطاع. كرَّستُ الشهر الباقي للمذاكرة. لم اذهب الى السوق إلا بضعة أيام. أخرجتُ كل كتبي القديمة وبدأتُ من جديد، كتب الكيمياء والطبيعة والجيولوجيا. صرت أسهر أذاكر وأطلب معونة الله. ودخلت الامتحان وبنعمة

من السماء نجحت في الثلاثة مواد. وكان النظام في ذلك الوقت هو أن تُضم درجات النصف الأول من السنة إلى النصف الثاني. فلما ضموا الدرجات التي حصلت عليها في السنة الأولى من دراستي عام ١٩٥٨ إلى ما امتحنته مؤخرًا، أنني نجحت ونقلت إلى السنة الثانية مع مادتين كتخلف في الكيمياء والجيولوجيا.

وقد تكلف الدكتور كمال بمصاريف السنة بأكملها وكذا السنة الثانية والثالثة والرابعة. وصار يشجعني بمحبة مسيحية. وأحضر لي بعض الملابس التي كانت لأخيه. وصار بيننا مودة ومحبة لا أستطيع أن أعبر عنها. في السنة الثانية نجحت في جميع المواد وأيضا في مادتي التخلف. في السنة الثالثة حصلت على تقدير جيد.

وفي السنة النهائية تخصصت في مادة الطبيعة والرياضة وحصلت في النصف الأول على تقدير جيد جدًا وفي النصف الثاني على تقدير ممتاز. ولما ضموا النصفين، كان التقدير العام ممتاز. و كنت أمد يد المساعدة لوالدي الطيب. ففي كل صيف كنت أقضي كل الأيام، أذهب الى السوق وأتحصل على ما يعطيني الله من رزقه للبيت. وقد أكرمني الله بمعرفة رجل طيب صاحب محل خردوات بشارع الترعة البولاقية اسمه عم حنا اسكندر المُطيعي. وهو رجل بروتستانتي، يتقي الله وعنده في محله الصغير كان يلتقي بعض أصدقائه من البروتستانت وبعضهم من الأرثوذكس. فبدأ الرجل يشجعني على إعطاء بعض الأولاد دروسًا خصوصية في منازلهم، منهم أولاده هو وقد زكاني عند الكثيرين وحتى جيرانه المسلمين. فكنت

وأنا في السنة الثالثة والرابعة أقضي كل يوم حوالي ٣ - ٤ ساعات أتنقل من بيت إلى بيت أساعد الأولاد في مراحل التعليم المختلفة من سادسة ابتدائي إلى ثانوية عامة. وكان هذا مقابل مبالغ بسيطة جدًا، لكنها كانت بركة اعفتني من العمل الصباحي في السوق ووفرت لي مساعدة شكرت الله عليها. ورغم الوقت الذي صرفته يوميًا في هذا العمل، إلا أن بركة الرب كانت تعضدني وتبارك في القليل من الوقت المتبقي، فكنت أذاكر وكان الرب قد أراد أن يباركني. ومن طرائف القصص، أن عم حنا المُطيعي زكاني لأعطي درس خصوصي لابن رجل محترم كان يسكن في ذات المنزل الذي فيه محل عم حنا. كان الرجل أحد تجار الجملة بسوق السمك وكان اسمه محمود حسنين. ذهبت بعد الظهر في اليوم المحدد. وطرقت باب الرجل. فتح لي الباب وفوجئ بي. كان يعرفني أنني أحد الباعة المتجولين، وكثيرًا ما اشتريت منه. حيَّاني متعجبًا، قال أنت الأستاذ؟ قلت نعم. قال اتفضل. جلست معه قليلًا. أحضر ابنه في الصف الثالث الإعدادي. سألت الولد، ماذا تدرس في مادة الرياضة؟ قال كذا، كذا، قلت أين الكتاب؟ أحضره. اخترت مسألة من الكتاب وقلت للولد حل هذه المسألة. حاول الولد مدة من الزمن ولكنه لم يوفق في حلها. بدأت اشرح للولد المسألة وأحلها إلى آخرها وكتبتُ الجواب. أمسك الرجل الكتاب وفي الصفحات الأخيرة يوجد إجابات المسائل أخرج المسألة التي كنا بصددها، فوجد الجواب مخالف لما عملته أنا، فقال الرجل، الحَل بتاعك غلط يا أستاذ. قلت له مستحيل.

أمسكت الكتاب مرة أخرى، راجعت المسألة بكل خطواتها، لم يكن فيها خطأ، وهذا بالنسبة لي كان أمرًا بسيطًا جدًا. رجعت إلى آخر الكتاب، وجدت صفحة مكتوب فيها، تصحيح الأخطاء المطبعية. ووجدت تحت رقم المسألة، تصحيح الجواب المكتوب في صفحة الإجابة، جاء التصحيح مطابقًا للحل الذي كنت قد كتبته. صاح الرجل معتذرًا ومهللًا. فشكرته وأكملت إعطاء الدروس لكل أولاد العائلة. وكان إذا وجدني بين الباعة في محله، أنه كان يكرمني جدا ويعطيني تخفيضًا خاصًا، فكنت أشكره عن ذلك.

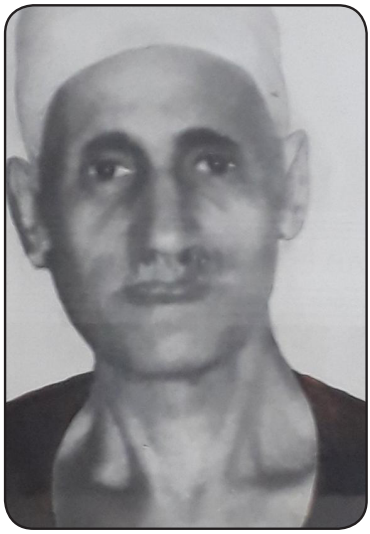

خلف سيداروس والد أبونا

✤ عظم الرب الصنيع

والدة أبونا

لم أكن أتخيل معروف الله معي يوم تخرجت من الجامعة بتقدير ممتاز. يومها قابلني مُسجل الكلية الاستاذ أنور واحتضني بقوة من «المفصولين إلى الممتازين» وجميع اقربائي وزملائي العارفين بأموري وفي دكان عم حنا. كم كان فرح دكتور كمال والأستاذ ميشيل أمين والجميع. كنت في السنتين الأخيرتين أشعر بيد الرب قوية في حياتي.

وكانت أختي الصغيرة وقد أصيبت في عينيها، ففقدت البصر ولكن الله عوضها بالبصيرة.

فكانت تري رؤي وأحلام عجيبة تمجد الله الذي يجرح ويعصب .

فكانت تري انني نجحت قبل النتيجة بأسابيع او شهور.. ففي السنة الرابعة.. قامت من نومها و قالت لقد نجحت وحصلت علي تقدير ممتاز.. قلت لها ضاحكا إنتي تهذين .

فلما ظهرت النتيجة كنا نداعبها ونطيب خاطرها وقد تكرر هذا الأمر مع إخوتي وكثير من الأحباء الذين كانوا يحبونها ويصيرون أعزَّاء عليها .

وبعد ظهور النتيجة بأسابيع في يوم قامت من نومها وقالت أنا زعلانة.. قلت لها خير.. قالت لقد عينوك معيدًا في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية يعني ها تمشي و تسيبنا.. قلت لها يا شيخة بلاش كلام.

ثم فوجئت بعد أيام بقرار وزاري بتعييني معيدًا في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية!

فوزية (فيفي) شقيقة أبونا

الفصل الثالث

♣ في الإسكندرية

لما علمت بقرار تعيني في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية.. بدأت أفكر و أسأل كيف ستكون الحياة هناك .. إلى من أذهب وكيف أدبِّر أمور سكني و معيشتي .. إلى آخر هذه الامور.

وبدأت أسأل في محيط معارفي القليلة.. لنا بعض الاقارب في الإسكندرية و لكنهم يسكنون في حي غيط العنب و هي منطقة شعبية كنت زرتهم لأول مرة في حياتي بعد التخرج مباشرة كنت قد وجدت إعلان من شركة بترول تطلب خريجي كلية علوم قسم جيولوجيا .. فقلت إنني درست جيولوجيا لمدة سنتين وأخذتها حجة لأذهب إلى الإسكندرية وقضيت عند أقاربي أسبوعا وعدتُ بعدها الي القاهرة.

كان من ضمن الأحباء الذين أراهم في دكان عم حنا المطيعي مدرس يعمل في الإسكندرية اسمه الاستاذ كرم.. أبلغه عم حنا أنني عينت معيدًا في كلية الهندسة.

قابلته وسألته عن الأحوال في الإسكندرية وكيف وماذا أفعل. قال لي هناك بيوت للطلبة المغتربين وممكن نسكن في إحداها وكونك معيدًا في الجامعة ممكن تشرف على أحد هذه البيوت. قلت وكيف أتحصل على معرفة هذه البيوت ومن هم القائمون على أحوالها.

قال لي هناك كنيسة مار جرجس بإسبورتنج وبها كاهن اسمه أبونا بيشوي كامل، ممكن تتعرف عليه وهو يسهل لك الأمور. قلت لو جئت إلى الإسكندرية هل توصلني إليه قال لي نعم. أخذت عنوان الأستاذ كرم.. وبعدها بأسبوع سافرت إلى الإسكندرية ونزلت عند أقربائي في غيط العنب وسألتهم عن عنوان الأخ كرم في كيلوباترا الحمامات.

فقالوا هذا خط الرمل ونحن لا نعرف شيئًا هناك.

ممكن تأخذ الاتوبيس إلى محطة الرمل ومن هناك تذهب إلى كيلوباترا.. فعلا ركبتُ الأتوبيس.. ونزلت في محطة الرمل.. وسألتُ كيف أصِل إلى كيلوباترا.. قالوا ممكن تأخذ الترام، قلتُ وهل لو مشيتُ على الكورنيش ممكن أصِل إلى هناك.. قال لي أحدهم ممكن ولكن قد تسير ساعة على الأقل قلت لا مانع.. سرت على قدمي حتى وصلت إلى هناك وسألت حتى توصلت إلى شقة الأخ كرم.

طرقت الباب فتح لي وجلست معه بعض الوقت وقلت له أنا حضرت حسب وعدك.. هل ممكن توصلني إلى أبونا بيشوي.. قال.. صدقني أنا دلوقتي راجع من المدرسة وكان عندي تصحيح ولا أستطيع أن أنزل الآن.

قلت له هل تصِف لي كيف أصل إلى الكنيسة.

قال سر بجانب الترام أربع محطات فتجد سور عليه اعلانات سينما كبيرة.. وهناك باب صغير ادخل فيه فهذه هي كنيسة مار جرجس باسبورتنج.

نزلت بعدما شكرته.. ووصلت إلى الكنيسة. كان هذا في شهر أغسطس ١٩٦٤.

دخلت وكان للكنيسة مبنى صغير مؤقت سقفه بالأسبستس المضلَّع والمبني بالطوب الأحمر غير مبيض وحوش الكنيسة به نادي مدارس الأحد والشباب يلعبون بعضهم طاولة وآخرون لعب اخري.

دخلت الكنيسة صليت ثم خرجت. سألت هل أبونا بيشوي موجود؟

قال لي أحد الأخوة لا أبونا مش موجود.

هل هو من المتوقع أن يحضر اليوم.. قال لي الأخ غالبًا لا.

كنت تعبت من كثرة المشي قلت لا مانع من أني أستريح قليلًا، وجلست بجانب الاخوة الذين يلعبون طاولة اتفرج عليهم.. قالوا لي هل تعرف تلعب. قلت نعم.. أشركوني معهم في اللعب.

لم تمض نصف ساعة حتى وجدت أبونا داخلا الي الكنيسة وهو يسرع في مشيته.

قالوا أبونا حضر..

قمت مسرعًا سلمتُ عليه.

كان في مخيلتي أن أبونا بيشوي رجل كبير في حجمه، كبير في سنه.

فوجئت بهذا الأب نحيف في جسمه صغير في سنه ولكن فيه روح عجيبة.

قابلني بفرح وابتسامة جميلة. قال لي أنت مين.. قلت أنا فلان الفلاني. عُينتُ معيدًا في كلية الهندسة.

احتضني وقال ألف مبروك دي بركة كبيرة جدًا.

تعجبت وأخذني ذهول لهذه المعاملة المملوءة حبًا رغم عدم معرفته بي.

قلت سمعت أنكم عندكم بيوت للطلبة لاني ليس لي معارف هنا ولا سكن.

قال لي لا تعول همًا. كل شئ موجود.. قلت كم هو الايجار علشان أعمل حسابي.. قال يا راجل لا تفكر في هذه الأمور البسيطة.. انت سافر وتعالى بالسلامة وكل شيء سهل وبسيط.

لم أصدِّق أن الرب سهل طريقي وترك لقائي الأول مع أبونا بيشوي في داخلي أثرًا لا يُمحى.

رجعت الي بيتي وحكيت لهم تفاصيل ما جرى فصاروا يمجدون الله إذ شعروا بحُسن صنيعه.

في أواخر سبتمبر ١٩٦٤ رجعت إلى الإسكندرية وقابلني أبونا بفرح كبير وأراني شقة في منزل بجوار كلية الهندسة يسكنه ٩ شبان من كليات مختلفة وأوكل إليَّ أمر الإشراف عليهم وأسكنني معهم.

كانت بالنسبة لي خبرة جديدة في كل شئ، لأول مرة أسكن خارج بيتي مع أشخاص لا أعرفهم.

فلما قاربَت السنة الدراسية على النهاية كانوا كلهم كأنهم إخوتي الأشقاء لأن الحياة التي عشناها ببساطة القلب والصلاة ودراسة الانجيل والمواظبة على حضور القداسات والتناول أنشأت فينا ألفة روحية ومودة حقيقية.

أما بالنسبة للعمل فقد حباني الله نعمة لا أستحقها ففي وقت قصير جدا صرت مندمجًا في جو الكلية مع الاساتذة والمعيدين والطلبة ورغم إنني كنت أُدرِّس مادة الميكانيكا وهي في كلية الهندسة مختلفة تمامًا عما كنا ندرسه ولكن ربنا أعطاني نعمة فصرت أُدرِّسها بإتقان وثقة.

عندما ذهبتُ أول يوم لاستلام عملي. مررتُ على مُسجِّل الكلية ومعي أوراقي وشهادتي.. هنأني ورحب بي وقال اسم حضرتك كمال خلف سيد ادريس قلت له لا يا أستاذ دي سيداروس.. قال مستغربا يعني ايه.. قلت يعني مسيحي .. فابتسم الرجل وقال انا مقصدتش..

مع نهاية السنة الاولي صارت لي صداقات كثيرة مع كثير من المعيدين والمدرسين.. مثل فؤاد رزق الله ومجدي رزق و نشأت بقطر ساويرس .. وتوطدت علاقتي بالأكثر مع المهندس مكرم إسكندر نيقولا (الأنبا بيشوي مطران دمياط فيما بعد). فصارت لنا

علاقة روحية ازدادت مع الأيام حتى صرنا كأخين نحيا حياة شركة في الصلاة والانجيل، وتمتعنا بأوقات غالية قضيناها سويًا سواء في مسكنه أو مسكني أو في دير السريان والأنبا بيشوي وكانت محبتنا لبعض وللكنيسة تزداد كل يوم. وكنا نقضي معظم أيامنا سويًا.. وكثيرا ما قضينا أوقات صلاة كانت تطول إلى معظم الليل وعشنا حياة توصف بأنها أيام السماء على الأرض

وصار لي صلة وطيدة ببعض الخدام الروحيين مثل رمسيس فهمي ومجدي أنيس والبير نوار... وكثيرين.

كنت أواظب على حضور القداسات.. وقد أعطاني الرب فرصة قضاء وقت أكثر مع ابونا بيشوي رغم مشغولياته الكثيرة.. سواء في الكنيسة أو كنت أزوره في البيت، فكانت لي فرصة للتعرف عليه بالاكثر والتلمذة والتعمق في الحياة مع المسيح وحياة الكنيسة.

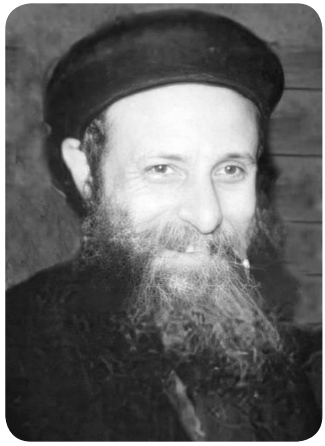

القمص بيشوي كامل

♣ بابا صادق

كان من ضمن الطلبة الذين أسكن معهم.. طالب في ثانية هندسة اسمه أكرم بولس، كان أصيب في حادث سيارة من سنة وكان محبوبًا لدي أبونا بيشوي جدًا.. تعلق بي هذا الأخ جدًا وقادني في ليلة من الليالي إلى منزل (بابا صادق) وقال لي تعالَ أريك إنسانًا عجيبًا.. كانت هذه بداية معرفتي.. دخلنا دون أن نطرق الباب .. كان الباب مغلقًا دون قفل.. ووجدناه يتحدث إلى بعض الإخوة.. كان بسيطًا طبيعيًا ولكن كلامه عميق روحاني لم أسمع مثله قط، وكان كل واحد جالسًا في صمت. لم يسأل أحدًا ولا أحد شارك في الكلام.. كان يتكلم ساعتين أو يزيد بلا توقف..

ثم يختم الكلام بصلاة بدموع وصدق فيمتلئ الجميع تعزية..

وبعدما انصرف الجميع قدمني أكرم لعم صادق وقال هذا فلان الذي كلمتك عنه.

فقال الرجل وهو ابن الخمسة وستين سنة وكان مصابا بمرض الحساسية في جهازه التنفسي.. نظر الي من وراء نظارته الصغيرة وقال أهلا يا ابني.. اسمع أنا اليوم أعطيتك كل ما أخذته

من المسيح، وأنا مش واعظ ولا مُعلِّم.. أنا أغنسطس صغير في الكنيسة ولا أحب أن أحدًا يضيع لي وقتي.. فان كنت تحيا في المسيح متمتعًا بشركة روحه العامل فيك، ومنكرًا ذاتك وجاعلا إرادتك الذاتية تختفي لتحيا بإرادته هو.. فأهلًا بك نتعزى معًا بشركة الإيمان بالمسيح والحياة فيه.

ولكن إن لم تكن هكذا فأرجوك لا تحضر اليَّ.. فأنا أسعي بكل طاقتي نحو خلاص نفسي.. كأني حامل شمعة صغيرة لا يضرني أن مئة شخص يوقدون شموعهم مني ولكن لست أريد أحدًا أن يُطفئ شمعتي.

وتعجبتُ للغاية في هذه الليلة وكانت من أكثر ليالي حياتي تأثيرًا في نفسي، وصرت أزور بابا صادق بل توطدت العلاقة بيننا على نحو غريب جدًا من دون أحبائه الكثيرين، فصار لي عنده دالة وحظوة كثيرة بل كثيرًا ما كنت اقضي عنده ساعات كثير وكنت اتغذى عنده على مائدته البسيطة بمحبة فائقة.

وكان لما أراد الرب أن أخدمه في رتبة الكهنوت ذهبت لأخبر بابا صادق الذي كان يخشى هذه المسئولية الخطيرة ويُحذِّر منها جدًا.. إنه على الرغم من ذلك فرح بذلك وقال لي إنك ستكون لك في قلبي محبتين محبة الابن ومحبة الأب.

قضيت في الإسكندرية في عملي من أكتوبر سنة ١٩٦٤ إلى مارس ١٩٦٧ وقضيت في منازل الطلبة سنة واحدة بعدها نصحني أبونا بيشوي أن أسكن وحدي وعرَّفني علي صاحب منزل استأجرتُ منه حجرة مفروشة في بدروم بيته بخمسة جنيهات في الشهر وظللتُ فيها باقي الأيام الي يوم رسامتي كاهنًا.

الفصل الرابع

✤ الكلام عن الكهنوت

كان المهندس مكرم وأنا نتردد على الأديرة من ١٩٦٥ وكان لنا حب كبير لدير السريان، قضينا هناك فترات خلوة وكان أبونا ويصا السرياني مشرف علي بيت الخلوة، وكانت تحلو لنا معه العشرة بسبب حياته وطبعه الملائكي فتعلقنا به جدا.

اتفقنا يوما المهندس مكرم وأنا أن نذهب لدير مارمينا. لم أكن قد زرته من قبل.. واتفقنا أن نتقابل على محطة السكة الحديد بسيدي جابر في الصباح الباكر حيث موعد القطار المسافر الي مطروح.

ذهبت باكرًا وقطعت تذكرتين.. وجاء القطار وركبت ولم يحضر الأخ مكرم فسافرت وحدي.

نزلت كما قالوا لي في محطة بهيج ووجدت بعض الأعراب على رصيف المحطة فسألتهم كيف أذهب إلى دير مارمينا.. فأشاروا إليَّ أن أسير في هذا الاتجاه.

أخذت الكلام ببساطة شديدة وسرت في البرية بحسب الاتجاه الذي قالوا لي عنه.. وبعد نصف ساعة من المشي.. وجدت نفسي وحيدا في صحراء مقفرة.. ليس فيها علامات بالمرة ولا بيوت ولا شئ.. وجميع الاتجاهات زي بعضها.

وعلمت فيما بعد أن الإنسان ممكن ان يتوه في هذه البرية وإذا أمسى عليه الوقت قد يحصل له ضرر أو قد يفقد حياته.

ولكنني لم يخامرني شك او خوف.. كنت أسير مُسبحًا بصوت مسموع وأقول مزامير وألحان بفرح شديد.

وبعد ساعتين ونصف من السير وجدتُ نفسي أمام دير مارمينا الذي كان وقتها عبارة عن كنيسة صغيرة (كنيسة العذراء) وبعض الحجرات البسيطة وجزء من سور صغير.

دخلت ساعتها الي الكنيسة كان أبونا مينا أفا مينا يصلي قداس وحين وصلت كان في أواخر القداس.. لم يكن أحد حاضرًا في القداس سوى هو وشماس واثنين آخرين.

وقفت في خارج الهيكل ووجدت نفسي أرد المردات التي تخص الشعب.. لأن لم يكن أحد هناك.

لما انتهي ابونا من القداس تعرف علىَّ وقابلني بمحبة كبيرة وقال لي من أنت؟ من أين أتيت؟ وكيف أتيت الي هنا؟

فأخبرته بكل ذلك.

فتعجَّب جدًا إنني وصلت سالمًا

وصارت من يومها بيننا محبة كبيرة الي يوم نياحته.

إزدادت اشتياقاتي لحياة التكريس، وكنت حالما أنتهي من عملي بكلية الهندسة أقضي أسعد أوقاتي في الصلاة ودراسة الكلمة والتعرُّف بالأكثر على كنوز الكنيسة، وتعمَّقت علاقتي مع أبونا بيشوي فكنت أقضي معه ساعات كثيرة.. سواء في الكنيسة

أو في منزله ومرات كثيرة كنت أركب معه سيارته وهو يزور ويفتقد.. وأحيانا كان يتركني في السيارة ويذهب وحده ثم يعود إليَّ وكم كانت صحبته بالنسبة لي مصدر سعادة لا توصف.

❖ قصة الكهنوت

في سنة ١٩٦٦ فاتحني أبونا بيشوي في أمر الكهنوت وقال: «طلب مني أحباء لي في مدينة قنا ان أرشح لهم واحدًا ليكون لهم كاهنًا.. فما رأيك؟»

قلت له ضاحكًا وأنا مالي ليس لي رأي.. فحاول أن يسألني عن نفسي فاعتذرت له لأسباب لا حصر لها.. أولًا إنني لا أعرف شيئًا ولا أستحق شيئًا ولا أصلح لشيء.

ثم مرَّت الأيام ونسي الأمر.

وفي يوم من الأيام كنا واقفين في فناء كنيستنا في سبورتنج.. أبونا تادرس وبعض الأخوة.. فقال أبونا انا ذاهب لأعزِّي في والد الدكتور سعد عزيز.. فقلنا نذهب معك.

ذهبنا معه ثلاثة أو أربعة من الإخوة.

ذهبنا حيث مكان العزاء وهو خيمة منصوبة في الشارع مضاءة بالأنوار، وبها كراسي يتقبَّل الناس فيها العزاء.. بحسب عادات تلك الايام.. سلمنا على أبناء الدكتور عزيز وجلسنا.. أما أبونا تادرس فبعد السلام تركنا وطلع إلى منزلهم ليُعزِّي السيدات.

فلما جلسنا ساكتين لمدة عشر دقائق أو ما يزيد.. بادرني الأستاذ رمسيس فهمي، وهو عزيز عليَّ جدًا، قائلًا لماذا نجلس هكذا صامتين وكل واحد يتكلم مع الجالس بجواره.. مضيعة للوقت لماذا لا يُستفاد من هذا الوقت الضائع.

لماذا لا نقف ونتكلم بكلمة الله.. لعل واحدًا فقط يحتاجها، وفي مثل هذه الظروف النفوس مهيأة لسماع كلام الله. قلت له متعجبًا حسنًا قف وتكلم. فقال لى تكلم أنت.

قلت ولماذا أنا.. قال أنت حر.. هي مسئولية أمام الله، وظل رمسيس ينخسني بالكلام ويوجع ضميري حتى وقفت.. ورشمت الصليب وتكلمت.

لم أكن صاحب كلام ولا واعظًا.. ولكني تحت ضغط رمسيس تكلمت لمدة عشر دقائق أو يزيد.

ولا أذكر انني تكلمت في اجتماع بالكنيسة سوي مرة واحدة دفعتني الغيرة ان أتكلم جهارًا وهي حادثة طريفة عالقة بذهني إلى اليوم.

فقد كان مقررًا في اجتماع الشبان بالكنيسة منذ حوالي شهرين أن تقام ندوة عنوانها «بين حياة التمسك والتسيب» وكان أبونا بيشوي سيتكلم من جانب الالتزام والتمسك ودعي الاستاذ ألبرت برسوم ليتكلم من جهة الانفتاح علي العلم وعدم الانغلاق.

ولسوء الحظ فقد مرض أبونا بيشوي في ذلك اليوم.. فحضر أبونا تادرس بدلًا عنه.. وتكلم كلمة بسيطة ثم تكلم الاستاذ ألبرت برسوم من وجهة نظره فأفاض وكان خطيبًا مفوهًا مقتدرًا في الكلام فأبهر الشبان بأسلوبه وبلاغته..

كان وقتها اجتماع الشبان يضم حوالي ٨٠٠ شاب من شباب الجامعات، وأكثرهم من المغتربين ولهم أصول مُحافِظة.. فحاول البعض أن يرد على وجهة نظر حياة الانفتاح على العالميات فلم يفلح أحد.. لأن الرجل كان قويًا في أسلوبه مُقنعًا في فكره..

كنت يومها أجلس بجانب المهندس مكرم إسكندر.

بدأت ترِد إلينا اسئلة من الشباب مكتوبة في قصاصات ورق كلها غيرة علي حياة الالتزام والتمسك وعدم التسيب في شيء.. لأن بدء حياة الاستهتار سهلة ولكن العبرة بالنهايات.

أسئلة كثيرة جدًا.. أذكر أن أحد الشباب كتب يقول.. إن ٨٠٪ من الاجتماع اليوم سيخرجون من هنا الي السينما بضمير مستريح..

سلمنا الأسئلة لأبونا تادرس.. وكان يحاول.. ويحاول أن يغير مجري الكلام ولكن دون جدوى.

امتلأتُ غيرة وكانت روحي في داخلي منحصرة ولم أعرف ماذا أفعل.

أرسلت ورقة لأبينا تادرس قلت له أرجوك أعطني خمس دقائق في نهاية الندوة. وهكذا فعل أبونا تادرس.. أشار إليَّ في نهاية الكلام فصعدت إلى المنصة.. وفتحت إنجيلي الصغير في يدي وقرأت الآية الأولي من الإصحاح الخامس من رسالة معلمنا القديس بولس الرسول الي أهل أفسس.. آية واحدة فقط وهي تقول «كونوا متمثلين بالله كأولاد أحباء»

وفي دقائق تكلمت عن سلوك الشباب المسيحي كابن حبيب لله.. وأن هذا لابد ان يتمثل في كليات الحياة وجزئياتها فيما يليق بأولاد الله عن السلوك السوي وما لا يتناسب مع مركزنا كأولاد الله لا يلزمنا مهما كان حلالًا.

ختمت كلماتي البسيطة هذه ولكن بروح قوي جدًا.. وإذا بالكنيسة كلها تضج بالتصفيق الحاد جدًا.. وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي أرى فيها هذا.. فلم يكن يسمح بمثل هذا بالكنيسة ولكن الشباب بتلقائية عبَّروا عما كان فيهم.

فسارع أبونا تادرس بالوقوف وأنهي الاجتماع بصلاة الختام.

كانت هذه هي المرة الأولي التي تكلمت فيها مضطرًا.

وبعد الاجتماع وأنا في وسط الشباب فوجئت بالأستاذ ألبرت برسوم يبحث عني ويحتضنني بقوة شديدة ويقول: أنا في قمة سروري انني حينما أردت ان أخفف عن الشباب، وجدتكم شديدي التمسك بحياتكم في المسيح.. أنا فخور بكم..

على كل حال حالما انتهيت من كلمة العزاء نزل ابونا تادرس ورجعنا الي الكنيسة.. وانتهي الليل وكل واحد مضي الي حال سبيله.

بعد أسبوعين أو يزيد.. جاء أبونا بيشوي ليقص عليَّ قصة عجيبة.. قال أنا اليوم راجع من دير مار مينا.. كنت أنا والأستاذ عدلي تادرس في مقابلة لسيدنا البابا كيرلس السادس..

قلتُ حمد لله بالسلامة.. لماذا كنتما هناك؟

قال الأستاذ عدلي محبوب لدي سيدنا جدا وهو عضو مجلس الكنيسة فذهبنا نطلب كاهنًا ثالثًا لأن الخدمة زادت، وأنا وأبونا تادرس صرنا في شديد الحاجة. قلتُ.. ثم ماذا؟ قال وقفنا مع البابا وطلبنا منه الأمر..

فقال البابا.. زكُّوا لي من تريدونه وأنا أرسمه لكم

فقال أبونا بيشوي للبابا اختر لنا أنت يا سيدنا

فرد البابا قائلًا يا ابني أنا لا أعرف أحدًا عندكم

فأخرج أبونا بيشوي ورقة وقلم وكتب سبعة أسماء لشبان وخدام في الكنيسة قال للبابا دول كلهم حلوين أي واحد فيهم ينفع..

فقط شاور على أي أحد.. ضع صليبك عليه

فرد الاستاذ عدلي تادرس وقال يا سيدنا هو الأخ اللي وعظ في الجنازة ومفيش غيره

لم يكن ابونا بيشوي موجودًا يوم جنازة والد الدكتور سعد عزيز، ولم يعلم أنني وعظت في الجنازة.

فقال البابا للأستاذ عدلي.. جنازة مين.. قال الدكتور عزيز

قال البابا من اللي وعظ في الجنازة.. قال الأستاذ عدلي أنا لا أعرف اسمه فاحتار أبونا بيشوي وقال هو حد من الخدام وعظ في الشادر؟

قال الأستاذ عدلي.. نعم كان فيه واحد مع أبونا تادرس وعظ وعظة قصيرة ولكنه كلام بنعمة جزيلة أثَّر فيَّ أثرًا بالغًا، فهو ده ومفيش غيره.

ازداد أبونا بيشوي حيرة وقال للأستاذ عدلي طب شكله ايه..

قال الأستاذ عدلي شاب بشنب وعينيه خضره

قال أبونا للبابا ده الأستاذ كمال خلف المعيد بكلية الهندسة

قال البابا.. خلاص هو ده ربنا اختاره

صرت في ذهول وأنا أسمع هذا الكلام من أبونا بيشوي

كنا وقتها في الكنيسة فلما وجدني أبونا بيشوي في هذه الحال، دخل بي إلى الهيكل ووضع يده على المذبح وقال أنا أمام الله لا دخل لي في هذا الكلام وهي ليست إرادتي وأنت حر.

هالني الامر جدًا وتحيرت كثيرًا.. صُمتُ وصليت أيامًا ثم هداني فكري أن أستشير أحد الآباء الروحيين.. كان من أولاد أبونا

متي المسكين وكان اسمه أبونا ديوناسيوس.. ثم إذ كان قد اعتلَّت صحته وهو في وادي الريان مع الآباء.. رجع إلى القاهرة وقابل البابا كيرلس.. فأرسله إلى دير السريان ثم أسند إليه خدمة بعض الوافدين من أفريقيا فصار يخدمهم في كنيسة العذراء بالمعادي.

وكنا قد تعرَّفنا عليه في دير السريان المهندس مكرم إسكندر (الأنبا بيشوي مطران دمياط) وأنا وكنا نحب أن نجلس إليه ويحدثنا، وهو بطبيعته كان انسانًا وديعًا ملائكي الطبع رقيق المشاعر ومملوء من الروح.

فقلت في نفسي بعد أن صليت كثيرا وصُمتُ «أنا أذهب إلى أبونا بيمن» (الاسم الذي أعطاه له البابا كيرلس) وأفتح له قلبي وأنا واثق أن يعطيني الله كلمة صالحة علي فمه، ومهما أشار به عليَّ سأنفذه بالحرف بدون أي فحص.

وهكذا كان أن قلت للأخ مكرم اسكندر وهو لا يعلم ما دار بيني وبين أبونا بيشوي من كلام.. قلت له أنا أريد أن أذهب إلى أبونا بيمن في القاهرة هل تذهب معي؟

قال نعم أنا مشتاق أن أراه.

ذهبنا معًا وتقابلنا مع أبونا بيمن، وتعزينا بكلام النعمة وقضينا معه وقتًا طيبًا.

ثم استأذنت أن أجلس معه على انفراد..

فلما جلسنا وصلينا شرعتُ أقصُّ عليه ظروف حياتي العائلية والخاصة.. ظروف والدي ووالدتي واخوتي سيما أختي المريضة بعينها من سنوات وقد صارت فاقدة البصر. ثم اشواقي نحو حياة التكريس ومحبتي للمسيح والكنيسة.

وبينما أنا مسترسل في الكلام وقبل أن أخبره بأمر ابونا بيشوي معي.. قاطعني في الكلام وقال بلا مقدمات.. هيرسموك كاهن في مارجرجس سبورتنج.. علي شرط أن تذكرني على المذبح في كل قداس.

انفجرت في البكاء بلا وعي.. صار الرجل يهدئ من روعي وهو لا يدري لماذا أنا كذلك.

فلما هدأت سردت له موضوع أبونا بيشوي والبابا كيرلس وقلت له أنا حاضر إليك لكي أسمع كلمة من فمك.

فقال الرجل وهو في غاية التأثر.. لقد خرج الأمر من قِبَل الرب.. فلا تعاند.. لأن ليس من مصلحتك أن تعاند الله.. فخضعت بلا فحص.

رجعت إلى الإسكندرية مع الأخ مكرم.. لم أخبره بشيء وكان معظم الطريق يسألني ماذا بك.. فكنت أقول له أشكر الله.. أنا بخير ولما عدنا قابلت أبونا بيشوي وقلت له ما حدث مع أبونا بيمن.

فقال لي صدقني أنا شايف يد الله ومتأكد من عمله ولكن الأمر متروك لك..

كنت قبل هذه الأيام بشهور لا يمر يوم واحد إلا وأحد يناديني يا أبونا.. أو أحدهم يقبّل يدي.. وكان بواب العمارة التي أسكن فيها وهو رجل مسلم طيب يُحضر لي بعض الطلبات ويقول أنت رجل ربنا.. أنت نقول لك يا بابا.. وكان هذا يتكرر في الكنيسة والكلية وفي البيت.

لم أكن اعطى أي اعتبار لمثل هذه الأمور ولكن لما حدث ما حدث كنت أتذكر كل هذا.

ولكن نفسي كانت مُثقَّلة جدًا فهذا ليس طريقي ولا أصلح لمثل هذا العمل.

وكان كلما نظرت لأبونا بيشوي وأبونا تادرس كنت أشعر بصغر شديد وعدم استحقاق لا يوصف.

قداس الرسامة (دير مارمينا)

الفصل الخامس

✤ الزواج

لما رجعت لأبونا بيشوي، بدأ في تدبير الأمور لأجل الرسامة وقال لي يجب أن تفكر في أمر الزواج.. لم يكن الأمر يخطر لي على بال. فقلت له لا أعرف كيف أفكر في هذا الأمر.

قال لي هل لك أقارب أو معارف.. قلت لا

قال أنا أرشح لك بنت خادمة طيبة اسمها نادية أديب هل تعرفها.. قلت لا إذ لم تكن لي خلطة بأحد في الكنيسة سيما من الخادمات أو السيدات.

قال دعني أرى كيف تسير الأمور فقط صلي.

سأل أبونا بيشوي أبونا تادرس قائلًا من تُرشِّح لتكون زوجة للكاهن الجديد، قال أبونا تادرس: نادية أديب وكانت نادية تعترف عند أبونا تادرس.

لما ذهب أبونا الي المنزل وتكلم مع أنجيل بخصوص رسامة كاهن جديد سألها من تجديها مناسبة للكاهن الجديد قالت أنجيل أنا شايفة نادية أديب.

اطمأن أبونا بيشوي للأمر وأحس بيد الله.

فقال لي هل تريد أن تراها أو تتعرف عليها.. قلت لأبونا ما يحسن في عينيك افعله انا سلمت أمري لمن بيده الامر.

ذهب أبونا بيشوي إلى منزل نادية ليقابل والدها.. فلم يجده إذ كان مسافرًا هو وزوجته الي المنيا.. فقابل أخوها الأصغر وكان وقتها معيدًا في كلية العلوم.. أطلعه أبونا بيشوي على الأمر.. فقال له الأخ نادي.. بابا سيحضر من السفر بعد يومين.. وسنسأله في الأمر.

وقد كان أن حضر عم أديب من السفر وقابله أبونا بيشوي وأعلمه بالأمر، وكان هذا قبل صوم يونان بيوم واحد.. وأعلمه أن الأمر مستعجل وأن الزواج لابد أن يتم قبل الصوم الكبير أي في مدة أسبوعين.. انذهل الرجل لأن كل شيء عنده كان يعمل بنظام وتدبير إذ كان رجلًا يعيش بترتيب دقيق في حياته اليومية، وكل شيء يسير بهدوء شديد لأنه كان قد أنهي عمله مع الجيش الانجليزي سنة ١٩٤١ وهو بالغ من العمر ٤١ سنة وتفرغ من يومها للحياة العائلية فأنجب أربعة أولاد.. بنتين وولدين وتفرغ لتربيتهم وأفرغ كل جهده ووقته لذلك.

كانت نادية هي كبري بناته وقد تخرجت سنة ١٩٦٣ من كلية زراعة أسيوط وتعمل مهندسة زراعية في الحجر الزراعي بالإسكندرية سنة ١٩٦٥..

ارتبك الرجل لهذه العجلة.. فهو لا يعرف العريس ولا عائلته ولا يعلم عنه شيئا وحتى لم يره ولا مرة.

طمأنه أبونا بيشوي جدًا وكان الرجل وعائلته يقدسون أبونا بمحبة ويعتبرونه أبًا حقيقيًا لهم.

خضع الرجل للأمر لأن أبونا أعلمه انه سوف يتولى الأمر من أوله إلى آخره.

في يوم الخميس فصح يونان قال لي أبونا لنذهب إلى بيت العروسة ونعمل خطوبة.

في عصر ذلك اليوم ذهبنا أبونا بيشوي وأبونا تادرس والأخ مكرم إسكندر والأستاذ رمسيس فهمي والمهندس ألبير نوار وأنا.

جلسنا قليلًا ثم صلَّى أبونا بيشوي وأبونا تادرس على دبلتين اشتريتهما من الأخ فوزي أمين مكتبة الكنيسة وكان صائغًا.. بمبلغ خمسة جنيهات.

وألبسنا أبونا الدبل.. وقدموا تورتة صغيرة معمولة بالمنزل وجلسوا قليلًا ثم قاموا لينصرفوا.. فقمت معهم.. فضحك ابونا بيشوي وقال إلى اين؟ قلت أنا نازل معكم.. قال لا أنت خليك هنا شوية.

دخلت حجرة الجلوس.. وجلست معي الأخت نادية.. جلست صامتًا.. لم يكن عندي ما اقوله.

كان كل شيء يجري حولي بسرعة لم يكن ذهني يلاحق الأحداث.

فجأة وجدت نفسي في هذا الوضع

بدأت هي الكلام معي.. في الخدمة والإنجيل..

ذهبت في يوم السبت إلى عملي.. فوجئ اصدقائي وزملائي وتلاميذى بدبلة ذهبية في يدي.

تجمعوا حولي بكثرة يستوضحوا عن الأمر.. سألوا عن اسمها.. كنت قد نسيته..!

فبشيء من الذكاء والفكاهة خلعت الدبلة من يدي وقرأت لهم اسمها..

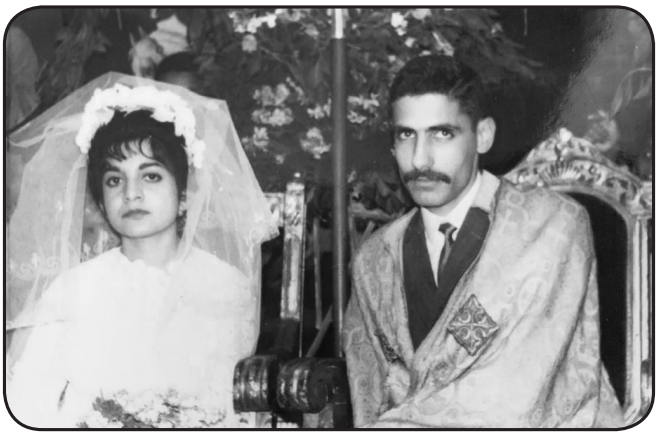

الإكليل

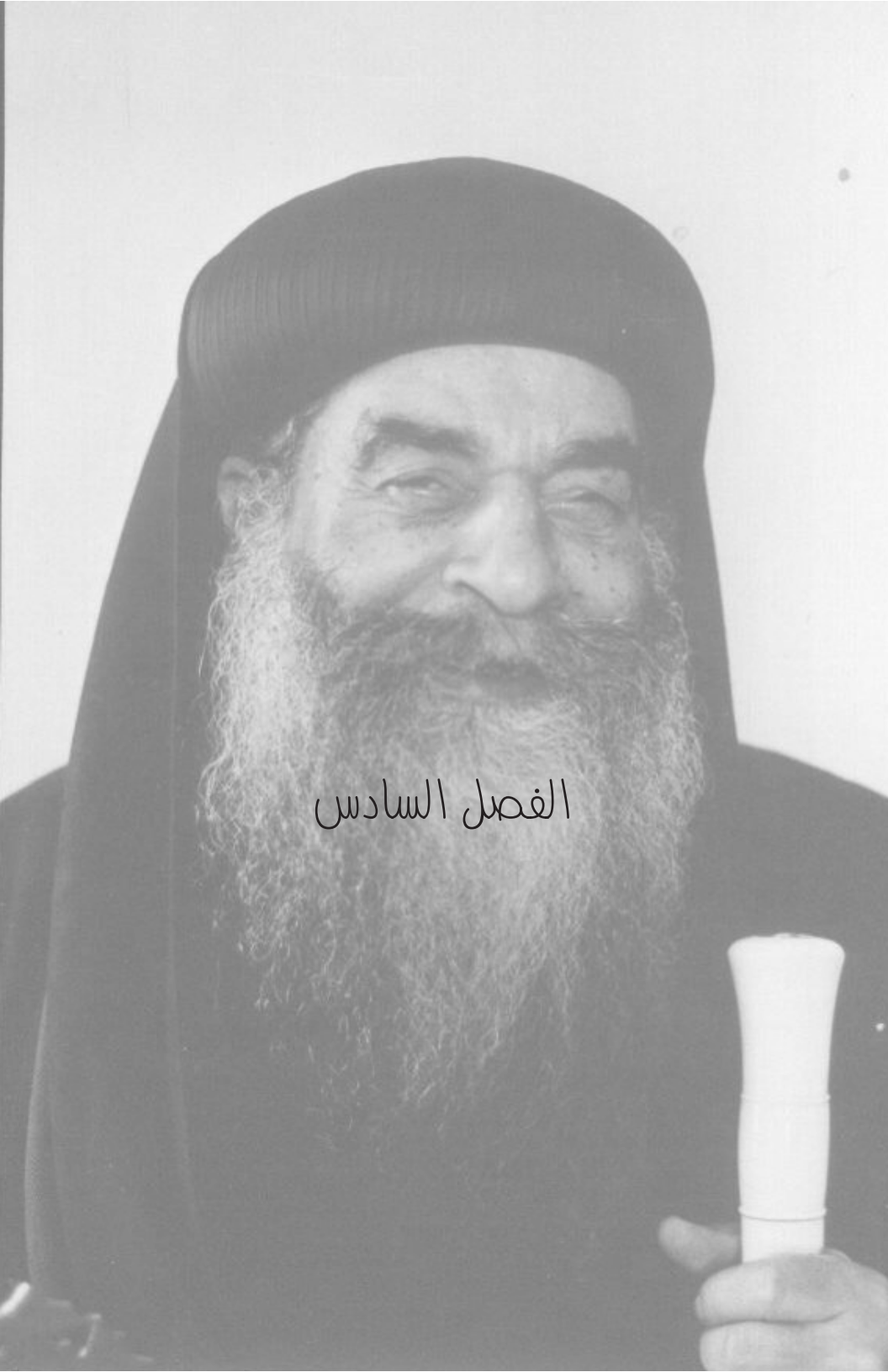

الفصل السادس

✤ زيارة البابا كيرلس

كان بعد أن عمل أبونا بيشوي الخطبة، بعدها بيومين أخذني أنا ونادية وأنجيل في سيارته (ماركة هيلمان) وذهبنا إلى دير مارمينا حيث كان البابا. وكان يومها قد صلى القداس وكان في قلايته فلما فتح بابه دخلنا إليه.

وكانت هذه هي أول مرة في حياتي أقابل البابا ويتكلم معي.. كنت أحضر وأنا في القاهرة قداسات البابا التي يعملها في الصباح الباكر، وكنت أتناول من يده ولكن لم يكن لي بركة الوجود منفردًا معه ولا كلمني كلمة واحدة.

أذكر أنني في يوم من أيام صوم يونان سنة ١٩٦٢ ذهبت لأصلي القداس في الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية وكان البابا يصلي القداس.. ثم أوكل إلى أحد الآباء أن يناول الجسد الطاهر أما البابا فكان ممسكًا بالكأس يوزع الدم الكريم وكان الزحام شديدًا. وأذكر أن الرجل الذي كان واقفًا أمامي بعد أن أخذ الجسد وتقدم إلى البابا وقدم له البابا المستير عاد البابا ورد يده إلى خلف وقال للرجل بنبرة حادة.. أنت بقالك قد إيه لم تعترف.. فارتبك الرجل بخوف وقال كثير يا سيدنا.

فقال البابا أجري شوف قسيس واعترف وبعدين تعال.

أصابني خوف شديد ساعتها وتقدمت وتناولت وجسدي كله يرتجف. وأحسست برهبة شديدة وأحاسيس لا يمكن التعبير عنها.

المهم بعد أن سلم البابا على أبونا بيشوي وداعب أنجيل بكلمة طيبة وكان يناديها (بلية) لصغر حجمها. نظر إليَّ وقال لأبونا بيشوي «بتجيبهم منين يا أبونا بيشوي كلهم طوال كدة» ونظر إلى نادية وقال لها تعالي يا بنت يا نفرتيتي لأن نادية كانت تسرح شعرها إلى فوق.. .. أنت حواء؟.. فأومأت برأسها.

واعترف أنني يومها ونحن في الطريق إلى الدير كنت أفكر فيما بيني وبين نفسي.. كيف أهرب من هذا الأمر وكيف أفلت من هذا النير..

وقلت في نفسي إن البابا يحب اللغة القبطية وألحان الكنيسة وطقسها وكل ما فيها حبًا لا مزيد عليه. فإن سألني البابا عن معرفتي باللغة القبطية يكون قد جاءني الفرج لأني يومها لم أكن أعرف شيئًا.

وصلنا إلى دير مارمينا وكانت هذه الرحلة هي المرة الوحيدة التي خرجت فيها مع خطيبتي..

كان البابا قد فتح باب قلايته بعد فترة راحة بعد صلاة القداس فلما علم بقدومنا استقبلنا في صالة الاستقبال الصغيرة بالمبنى الذي كان يستخدمه فيما بعد أبونا مينا أفا مينا تلميذ البابا.

سلمنا على البابا وقبَّلنا يديه.. نظر إليَّ البابا نظرة فاحصة غريبة وكانت هذه هي المرة الأولى في حياتي أن أتقابل مع البابا وجهًا لوجه في مقابلة خاصة. كنت أراه من بعيد أو أسلم عليه مع جموع الناس.

ثم بادرني البابا بالكلام.. وقال أنت اللي غاوي ولا هو اللي غواك..

فرددت بجفاء - أخجل منه كلما تذكرت هذا الموقف - وقلت لا أنا غاوي ولا هو غواني.

فقال أمال ايه..

قلت ولا حاجة..

قال أنت ياخويا تعرف قبطي

تهللت في داخلي وفي ثواني قلت لنفسي هاقد جاءك الفرج. فرددت على الفور بثقة وقلت لا يا سيدنا ولا حرف واحد.

وانتظرت إجابة البابا.. ولكنها جاءت مخيبة لآمالي.

رد البابا قائلا.. بكرة تتعلم وتبقى عال

فسكتُّ ولم أنطق بكلمة إلى أن انتهت المقابلة

قال البابا لأبونا بيشوي جوزهم يابني قبل الصوم

وقف البابا وقال تعالوا أصلي لكم ورفع يديه وباركنا وقبَّلنا يديه وانصرفنا.

حدد أبونا بعدها ميعاد الاكليل في يوم السبت ٤ مارس ١٩٦٧ وقد حدث كل شيء بهدوء شديد وسرعة وبدون ترتيبات كما هو متبع في كل الأوساط.. فلا كروت دعوة ولا ملبِّس ولا شيء من الأمور المادية التي تشغل الناس كثيرًا وتثير الاختلاف. لم يكن

للعروسة فستان فرح فاستعارت فستان ماري زوجة أبونا تادرس وسوارها الذهبي.

في يوم سبت رفاع الصوم الكبير كان ميعاد الإكليل المقدس (١٩٦٧/٣/٤) كان يومًا باردًا ومطيرًا.

بدأ بصلوات الإكليل وكيل البطريركية (القمص تيموثاوس المحرقي) وحوالي١٥ كاهنا..

وقد ازدحمت الكنيسة ازدحاما شديدًا لأن أبونا بيشوي نبه على الشعب بعد العشية فلم يغادر أحد الكنيسة وكان حضور عشية السبت ملء الكنيسة.. زد على ذلك طلبة كلية الهندسة الذين كنت أدرسهم وأصدقائي ومعارفي وأقاربي وأقارب العروسة. كان الناس مكدسين في كل مكان وبعضهم اعتلى الدكك لكي يتابع الصلوات.

استمرت صلوات الإكليل قرب ساعتين من الزمن. وكانت الالحان مبدعة ورغم أننا كنا في إحدى ليالي الشتاء إلا أن الجميع كان يتصبب عرقا من كثرة الزحام.

وقد علق المهندس مكرم إسكندر وهو توأم حياتي في ذلك الوقت قائلًا انني أحسست ليلتها كيف يكون العرس السماوي واتحادنا بالمسيح والفرح الأبدي.

كانت محبة الناس قد حولت برد الليل إلى دفء روحي جميل ومشاعر لا يُعبَّر عنها.

في أثناء الاكليل في الساعة الاولي لم أجد أبونا بيشوي بين الآباء..

وأخيرًا حضر أبونا بيشوي وصلى قطعة من الصلوات.. فلما اقترب إليَّ قلت له معاتبًا أين كنت؟!

قال معلهش كان عندي إكليل ثاني اضطررت أن أذهب ولما انتهيت منه ها أنا معك.

كان عم أديب يقول لأبونا بيشوي قبل الإكليل.. ماذا سنفعل مع كروت الدعوة.. وعلب الملبس وفستان الفرح وحفل العرس..

قال أبونا يا عم أديب سوف ترى بنفسك أن فيه أمور أكثر من ذلك، وأن الحضور سيكون مثل ألف نفس فلا تنفع كروت ولا ملبس.. لأن هذا العرس ليس عرسًا عاديًا تعمل له الترتيبات العادية..

فلما حضر الرجل.. قال لأبونا أنك كنت علي حق.. فمع هذا الزحام لا يصلح أن يُعمَل شيء مما ذكرنا..

من الأمور التي أثرت على نفسي في تلك الليلة إنني تسلمت فيما جاءني من تلغرافات التهنئة.. تهنئة من الأخ يوسف فيلبس (نيافة الانبا ايسيذورس أسقف و رئيس دير البرموس فيما بعد) كان قد انتقل والده إلى الفردوس في ذات يوم السبت، و كان في المساء بينما هم يتقبَّلون العزاء إذ ذهب هو إلى مكتب التلغراف وأرسل لي

برقية تهنئة.. لقد أبكاني هذا العمل النبيل الذي يفوق الوصف.

حضر أبي وأمي واثنين من إخوتي.. لم يكن لهم مكان في الإسكندرية فرتب لهم أبونا بيشوي شقة خالية لإقامتهم.

وبعد صلوات الإكليل كانوا قد جهزوا العشاء في شقة أبونا تادرس بالدور الأرضي في منزل أبونا بيشوي. وكانت سيدات الكنيسة قد أعددن مائدة كبيرة لكثير من الحاضرين ،قضينا ساعتين في فرح ومحبة الأحباء.. ثم صعدنا إلى شقة أبونا بيشوي حيث قضينا فيها ثلاث أيام.

بعد أيام ذهبت أنا ونادية إلى القاهرة قضينا يومين هناك في منزل والدي.

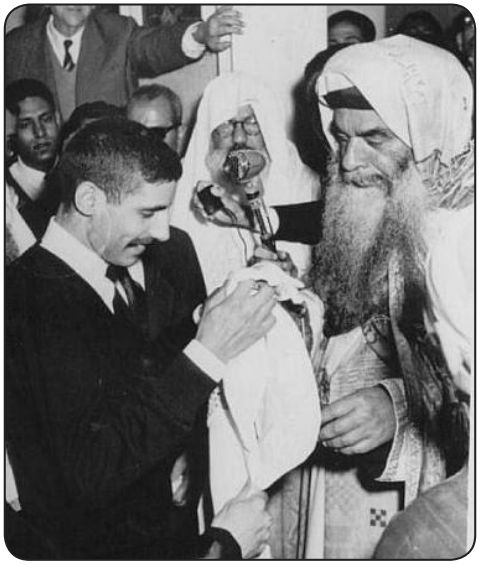

وقت الرسامة بيد البابا كيرلس

❖ ترتيبات الرسامة

وعدنا لنجد أن البابا كيرلس حدد ميعاد الرسامة يوم الجمعة ١٧ مارس في دير مارمينا وأنه هو بنفسه سيقوم بالرسامة ولم تكن من عادة البابا أن يرسم كهنة. كان ينتدب أحد الآباء الأساقفة.. وفي غالب الأحيان الأنبا مكسيموس أسقف بنها.

ولكن في هذه المرة لم يفعل ذلك بل قرر أن تكون الرسامة في الدير حيث كان هو في تلك الأيام.

في يوم الجمعة التي تلت الإكليل قدم من دير مارمينا الأستاذ عبد الملك وهو رجل تقي كان حبيبًا للبابا كيرلس.. وأخبر أبونا بيشوي أن البابا قرر أن تكون الرسامة في دير مارمينا يوم الجمعة ١٧ مارس وقد أبلغني عم عبد الملك كذلك.

❖ يوم الرسامة

في عصر يوم الخميس ١٦ مارس أحضر المهندس ألبير سيارة ركبنا فيها: المهندس مكرم والأستاذ سمير ثابت وسمير أديب شقيق زوجتي والأستاذ رمسيس.. وذهبنا إلى دير مارمينا.

وصلنا الدير عند غروب الشمس وكان البابا قد فرغ لتوه من صلاة القداس الإلهي بحسب الصوم الكبير وبعد ما وصلنا بقليل فتح قلايته واستقبلنا.. لم يكن أحد في الدير سوانا والآباء الرهبان.

كان للبابا هيبة إلهية يعرفها الجميع رغم بساطة ملبسه وحياة النسك الشديد الذي يعيش به.

أخذنا بركة البابا وهو يعرف المهندس ألبير والأخ سمير ثابت وتكلم معهما قليلًا.

نظر إليَّ البابا نظرة عميقة أطرقت بصري عنها ناظرًا إلى الأرض. كان البابا رآني مرة واحدة منذ أسبوعين..

استقبلنا البابا في حجرته الصغيرة.. ثم خرج من المضيفة سائرًا نحو أسوار الدير التي كانت مازالت تبنى مع بوابة الدير.. والاساسات المحفورة.

وكان البابا يضع عكازه على كتفيه وممسك بطرفي العكاز بكلتا يديه كمثل رعاة الغنم. وكان يتحدث مع المهندس ألبير وسمير ثابت إذ كان الاثنان معروفين لديه وسأل ألبير قائلا «انت مرسوم إيه يا ألبير؟» فقال «ابيذياكون يا سيدنا»

وتكلم البابا عن المباني وعمل الله الذي يبدو واضحًا كل يوم كمعجزات.. وكنا نستمع إلى حديث البابا وكان من الحين إلى الحين يلتفت البابا ناحيتي وينظر إليَّ نظرة فاحصة ولكن لم يتكلم معي ولا كلمة.

انتهى البابا من تفقد السور وعاد راجعًا واتجه نحو الكنيسة (كنيسة العذراء بالدير) وهي الكنيسة الكبيرة في ذلك الوقت لم يكن بالدير غير كنيسة صغيرة باسم الأنبا صموئيل المعترف.

دخل البابا إلى الكنيسة فأسرع الرهبان إلى إضاءة الكنيسة ورتلوا اكسمارؤوت.. سجد البابا قدام الهيكل ثم فتح ستر الهيكل. لم يكن وقت الصلاة.. فقد أكمل البابا القداس منذ ساعة أو يزيد.. ولا يوجد في أيام الصوم الكبير عشيات لأن المزامير في القداس تصلى حتى صلاة النوم..

فتح البابا ستر الهيكل وبدأ بصلاة الشكر حتى نهايتها. وبعدها أشار البابا نحوي.. فتقدمت إليه وكان واقفا على باب الهيكل ووجهه نحو الغرب. فلما وصلت إليه وضع يده على رأسي وصاح قائلا «لوكاس بي ابرسفيتروس خين تي اكلسيا اثؤواب..» ثم رشم الرشومات الثلاثة بحسب طقس رسامة القس.. وردَّ عليه الرهبان والشمامسة ثم قال البابا قول يا ابني أكسيوس فطفقوا يرتلون وأنا واقف في ذهول لا أدري بما يحدث حولي..

هالني الموقف المفاجئ ولم أكن أدرك إدراكًا كاملًا ما هو هذا..

فلما فرغوا من الترتيل نادى البابا على المهندس ألبير فأصاب الحاضرين ذهول.. وتقدم ألبير نحو البابا وهو يرتعش وصار وجهه أبيض باصفرار من كثرة الخوف. ووضع البابا يده عليه وهو ينظر إليه .. وكانت دقائق مخيفة كأنها دهر..

ثم قال البابا «ألبير ذياكون..» وأكمل الرشومات. استعاد ألبير لونه وكنا ننظر إلى بعضنا بعض ونحن في صمت. أكمل الرهبان والشمامسة الترتيل وختموا الصلاة وقال البابا البركة وقبلنا يديه وخرجنا من الكنيسة.

أقبل إليَّ الكل يهنئون وكنت في استغراب وكان أكثرهم فرحًا الراهب مينا أفا مينا وكان يناديني يا قدس أبونا ويقبل يدي وأنا في غاية الخجل من حبه واتضاعه.

كان الوقت قد أمسى وكان مقررًا لنا أن ننام في الحجرة الملاصقة لكنيسة القديس صموئيل المعترف المواجهة لقلاية البابا. وعبثا حاولنا أن ننام لأنه كلما تذكرنا ما حدث لألبير كانوا ينفجرون في الضحك.. وكلما هدأنا فإن أحدهم يصرخ ويقول «ألبير ذياكون».. وهكذا إلى أن نمنا أخيرًا.

وفي الصباح الباكر قمنا للتسبحة ثم رفع بخور باكر.. ثم القداس الإلهي والرسامة..

كان أبونا تادرس قد حضر في الصباح الباكر وأتوبيسات من شعب الكنيسة وكان أبونا بيشوي قد صلى قداسًا في كنيسة مارجرجس انتهى منه في الساعة ٨:٣٠ وقد جاء مسرعًا إلى الدير قبل مراسم الرسامة بقليل.

وسأله البابا أن يعمل ميطانية طالما هو الذي زكَّاني.. وحضر الرسامة وكيل البطريركية وبعض الآباء الذين كانوا يزورون الدير في ذلك اليوم: أبونا ميخائيل كاهن كنيسة مارجرجس كفر الدوار وبعض الآباء من الإسكندرية مثل أبينا مينا إسكندر وآخرين.

في أثناء بخور البولس وبينما البابا يطوف الكنيسة وجد أمامه الأستاذ مرقس عبد المسيح وكان موظفًا في أواخر

الخمسينيات من عمره وكانوا قد زكوه كاهنا لكنيسة قرب مطار النزهة بالإسكندرية في حي فقير جدًا. وكانوا قد اتفقوا أن يكتفي بمعاش الحكومة على أن يأخذ فقط عشرة جنيهات من البطريركية كمصاريف انتقال. فبادره البابا لما رآه واقفًا يصلي قائلًا «ايه يا ابني شاورت عقلك ولا لسة» فرد عليه الأستاذ مرقس قائلا «تحت أمرك يا سيدنا» فقال البابا احضروا له تونية.

وفي وقت الرسامة رسمه هو أيضا كاهنًا.. فلما فرغ البابا من صلوات الرسامة ووقفت بجانبه في الهيكل قال متباسطًا «يا بلاش قسيس بعشرة جنيه»

وقد بدت على ملامح البابا علامات الفرح والسرور وكان وجهه مشرقا بنعمة عجيبة في ذلك اليوم..

وقد حباني الله بحب هذا البابا الجليل وكان يدللني كطفل صغير وبفرح عجيب لا يعبر عنه وأعترف أنني لم أكن أستحق هذا على الاطلاق.

ازدحمت رأسي وقلبي وعواطفي بأحاسيس لا يُعبَّر عنها من إحساس بالعجز والنقص والصغر في كل شيء إلى إحساس بحماسة المسؤولية وفقدان الحرية التي كنت أحياها إلى غموض المستقبل إلى آخر هذه الأمور.. التي أثقلت كاهلي من اليوم الأول وأغرقتني في دموع وصلاة للقادر على كل شيء أن يرفع عن كاهلي هذه الأثقال لأنه هو وحده مخلص عبيده المتكلين عليه.

مع البابا كيرلس بعد الرسامة

الفصل السابع

✤ الأربعين يوم بعد الرسامة

قضيت بالدير ١٢ يوما.. كانت كأنها سماء لا يشوبها غيم أو كدر، كلها صلاة وكلها تسبيح مع أريج الصوم ونسك البابا الذي يعطر البرية كلها.

كنت أقضي معظم الليل ساهرا في الصلاة وكنت أجوب في فضاء الدير ليلًا غير مبال بالبرد الشديد.. أُصبت بارتباك معوي ربما من البرد أو من الأكل.. فاعتكفت في غرفتي يومًا.. فوجئت بالبابا الطيب الحنون يقرع باب غرفتي يسأل عني.. سجدت أمامه فقال لي «مالك؟ لا تهمل في صحتك ولا تقسو على نفسك لسة المشوار طويل عليك» وأعطاني دواء ورشمني بالزيت. كم تعجبت من هذا الحنو البالغ والأبوة العجيبة!

بعد ١٢ يومًا كان البابا قد قرر الذهاب إلى الإسكندرية وقد أعد العدة لذلك.

بعد أن صلى البابا التسبحة فجرًا ثم رفع بخور باكر.. أمر أن يجهزوا السيارة ويضعوا فيها متعلقات البابا. وذهب إلى الكنيسة وعمل تمجيد لمارمينا وعند بابا الكنيسة مر بي البابا وأنا واقف.. فقال لى «تحب تيجي معانا الإسكندرية ولا تقعد تكمل الأربعين يوم في الدير؟»

قلت: «أبقى بالدير» قال «زي ما أنت عاوز»

ثم قال «ما هو الإسكندرية زي الدير. واسمها القلاية البطريركية ودير مارمرقس»

قلت سأمكث بالدير.

عمل البابا التمجيد ولما فرغ وهو خارج من الكنيسة وجه إليَّ الحديث مرة أخرى وقال «شاورت عقلك ولا إيه»

شعرت بالخجل أن البابا يكرر الأمر هكذا وشعرت أن له رغبة أن أصحبه إلى الإسكندرية ولكنه لم يجعل الأمر على سبيل الأمر بل على سبيل الاختيار وهذه كانت طريقته مع أولاده لذلك قلت «أنا تحت أمرك يا سيدنا»

انفرجت أسارير البابا وقال لمن حوله «يلا يابني هاتوا حاجته من القلاية وضعوها في السيارة»

وهكذا ذهبنا إلى الإسكندرية وأعطوني حجرة بالدور الثاني في جزء ضيافة الأساقفة والرهبان.. لأقضي فيها باقي الأربعين يومًا.

وصلنا مع ظهر اليوم وفي الساعة الثالثة صليت القداس الإلهي مع البابا، وصرت ملازمًا له في التسبحة وباكر والقداس كل يوم. فكانت لي بركة لا تدانيها بركة وكان البابا يسلمني في كل مرة جزء من الأسرار التي تخص الكاهن، ويشرح لي كثير من الطقس وينبهني إلى أمور كنت أجهلها تماما، وكان ينبهني كيف أدخل إلى الكنيسة وكيفية الخروج منها، إلى هذا الحد من التدقيق في تفاصيل الأمور.

♣ أبونا يوسف مجلي كبير كهنة المرقسية

كان رجلًا شيخًا وكان قد أصيب بشلل نصفي وهو قد رسم كاهنًا سنة ١٩٢١ وكان البابا كيرلس يحترمه ويوقره لأنه كان يحضر معه اجتماع الشبان الذي كان أبونا يوسف يعمله بالإسكندرية قبل أن يترهب بدير البرموس.

وكان أبونا يوسف يقدّس البابا كيرلس ويحبه حبًا جمًا.

وكان في بعض قداسات الآحاد التي صليتها مع البابا بالكنيسة المرقسية، أن البابا طلب مني أن أعظ بعد إنجيل القداس وكان يقول لي «قل عشرة كلمات بفهم أفضل من عشرة آلاف كلمة باللسان» وكنت أقبِّل يديه وأخرج لأعظ.

وبعدها كنت ارجع أقبِّل يديه فكان يقول لي «شيه إن رومبي» باللغة القبطية ويقول كلامك حلو يا ابني وكان يدعو لي بمزيد من النعمة فكنت أفرح بدعائه.

ولكن كان يقول لي قبل أن أعظ اذهب استأذن من أبونا يوسف.. فكنت أفعل هذا فكان أبونا يوسف يهرول إلى البابا الذى يقول: يا أبونا يوسف علشان الصغيرين يتعلموا.. هكذا كان البابا يحتفظ للشيوخ من الكهنة بكرامتهم بحسب قول الرسول.

وحدث ذات يوم بعد القداس أن البابا استدعاني إلى حجرته وقال اجلس.. فجلست

فقال أنت تعرف أن أبونا يوسف رجل كبير ومريض ومعه أبونا فيلبس وهو أيضا رجل كبير. فما رأيك لقد طلب مني أبونا يوسف أن تظل تخدم معهم هنا في المرقسية.. إلى أن تحضر لي واحد أو اثنين من زملائك وأنا أرسمهم وهكذا ستعود أنت إلى مارجرجس سبورتنج؟

وقع عليَّ هذا الكلام وقع الصاعقة.. إنني أعد الأيام التي أرجع فيها إلى كنيستي التي أحبها وإلى أبونا بيشوي لأكون معه يعلمني ويرشدني..

دارت في رأسي أفكار كثيرة في لحظات وبسرعة خاطفة فقلت للبابا.. لا، لا أقدر

قال لي البابا يا ابني دي مدة صغيرة.. وتعود إلى كنيستك. قلت هذا الأمر صعب عليَّ لا أستطيع أن أعمله.

قال هو العسكري لما يأمروه في الجيش يقول ماقدرش أعمل.. ولا يطاوع

قلت له أنت راسمني على كنيسة مارجرجس سبورتنج

قال أنا رسمك على كنيسة الله

قلت له لا أنا عندي التسجيل

قال تسجيل إيه..

فتلفظت بكلمة ظللت أتأسف عليها، وقلت للبابا: لا تعثرني في بداية خدمتي.

تغير وجه البابا ساعتها وقال.. بتقول ايه.. ما أعثركش.. طيب ياللا خلاص. وصرفني من أمامه

وأنا في منتهى الحيرة والارتباك.. ترى لماذا يا ربي هذه الزوبعة وأنا أعيش أسعد أيام عمري. مالي والسياسات ولماذا يطلبون أن أمكث في المرقسية وهي كنيسة المناسبات والرسميات وأنا لا أعرف هذا ولا ذاك. أريد أن أخدمك في جو هادي وأعتني بخلاصي وخلاص كل من يتصل بي.

والحق يقال إن نفسي دخلت في غيامه من القلق والهم وعدم السلام.. سيما أنا قد خسرت في مقابلتي مع البابا.. حبه الحاني ولطفه معي.. ولماذا يا ربي!

اتصلت بأبونا بيشوي.. جاءني على الفور.. قصصت عليه ما حدث بالتفصيل.. هدأ من روعي وحاول أن يخفف الأمر عني.

في ثاني يوم جاء أبونا بيشوي وأبونا تادرس ولجنة كنيسة مارجرجس وتقابلوا مع البابا. لم أكن معهم ولست أدري ما دار بينهم.

في مساء السبت عشية أحد التناصير.. قال لي وكيل البطريركية أن سيدنا أمرني أصلي العشية في كنيسة مارجرجس وسأصحبك معي إلى هناك.

قلت حسنًا

وذهبنا.. وصلينا العشية.. ووعظت.. وقال الوكيل أنقل إليكم صلوات سيدنا البابا ومحبته لكم وأهنئكم بكاهنكم الجديد.

رجعنا إلى البطريركية.. وتكلم أبونا الوكيل مع البابا بالتليفون ليعطيه تقريرًا عما فعل.. وطلبت من الوكيل أن أتكلم مع البابا الذي لم أره منذ هذه المقابلة.

قلت: أقبِّل الأيادي يا سيدنا

قال: قبِّل

قلت: أوع تكون زعلان مني

قال: هي الناموسة لما تقف على الشجرة تعمل لها حاجة؟

قلت: لا يا سيدنا أنا أقل من ناموسة

قال: أيوة أقل

قلت: أخطأت حاللني

قال: الله يحاللك

وانتهت المكالمة..

في الصباح ذهبت إلى الكنيسة في باكر قبِّلت يد البابا وأنا أرتجف. قابلني بابتسامته المعهودة.. كم طار قلبي من الفرح ولم يتكلم معي في هذا الأمر فعرفت معنى الأبوة الصادقة.

كان كمال الأربعين يومًا يوافق يوم عيد القيامة المجيد. غادر البابا الإسكندرية جمعة ختام الصوم.. فكنت أذهب لأصلي البصخة في كنيسة مارجرجس وبعض الوقت في الكنيسة المرقسية. وليلة عيد القيامة ذهبت إلى مارجرجس وصلينا قداس العيد.

غطت بهجة القيامة المقدسة كل الحياة وفاقت كل تصور وبدأت من يومها أخدم الرب بقدر ما أعطاني من طاقة وحب وبدأت أدخل إلى الأسرار الكنسية وأعكف على الشرب من ينابيعها.

ورغم كثرة خطاياي وإهمالي وكسلي فلم يحرمني الرب من النعمة التي أعترف أنني لا أستحقها.

وكانت محبة أبونا بيشوي وأبونا تادرس أكبر سند لي في بدايات حياتي.

والآن وبعد ما يقرب من ٤٤ سنة لا أزال أتعلم وأكتشف من أسرار تدبير الكنيسة المذهل للعقل في كل صغيرة وكبيرة، سواء في أعيادها ومواسمها أو طقسها الروحي المبدع وألحان العبادة الإلهية التي تنقل النفس من الأرض إلى السماء، في كل مناسبة وموسم فبمجرد أن يُقال اللحن تستنشق الروح روائح السماء. سواء في الفرح أو في الحزن على حد سواء.

إلى جانب تدبير القراءات وسير القديسين الأماجد وأعيادهم التي يشركوننا فيها في فرحهم ودالتهم.. ويدخلوننا إلى ميراثهم في المسيح. ما أعظمها كنيسة.. مغبوط هو الذي يدرك سرها.

،القمص تادرس يعقوب، القمص بيشوي كامل
القمص لوقا سيداروس

القمص بيشوي كامل،دكتور فؤاد رزق الله،
القمص لوقا سيداروس

الفصل الثامن

✤ مو اقف غريبة مع البابا كيرلس

ما رأيته بعيني مع هذا البابا الجليل يفوق التصور والخيال ولو إنّي سمعت هذا الكلام من آخرين ما كنت أصدق ما يقولون. بعد رسامتي بأسبوعين رجعت مع البابا إلى الإسكندرية وسكنت في حجرة بالبطريركية لأقضي باقي الأربعين.

وكنت في ذات يوم مستيقظًا حوالي الساعة الثالثة فجرًا.. سمعت خطوات البابا نازلًا لأن المصعد كان مُعطلًا.. أسرعت لبست ثيابي ونزلت إلى الكنيسة وجدته واقفًا وحده يصلي التسبحة.

سجدت وصليت ثم قبلّت يده.. فقطع التسبيح وقال لي بلهجة حنونة إيه إللي نزلك دلوقت.. قلت آخذ بركة. قال يا أبونا لسة المشوار قدامك طويل . فابتدي قليلًا قليلًا وشوية شوية.. وبلاش تيجي على نفسك.

وكان يوم من أيام الأسبوع وكنت أصلي معه قداس من قداسات الصوم الكبير وبعدما صلَّى وقف يعطي بركة للشعب الحاضر.. وأنا أقف بجواره، فلما سلم على إحدى السيدات إلتفت إليَّ وقال دي بنت خالتك.. في الحقيقة دُهشت جدًا لأن السيدة كانت قريبتي فعلًا فهي بنت عمتي.. فجاوبته بدالة كمن يداعبه وقلت له لأ، فإبتسم إبتسامة الأطفال الأبرياء الأطهار وقال طب بلاش تبقى بنت عمتك.. تعجبَّت السيدة وقالت لي ضاحكة هو يعرف منين، قلت لها من فوق.

في سنة ١٩٦٩ حضر أبونا متى المسكين من وادي الريان إلى الإسكندرية وكان يشكو من بعض الأمراض.. ولم يكن أحد في الإسكندرية كلها يعلم بوجوده وقد قادني أبونا بيشوي إلى حيث كان أبونا متى ورأيته لأول مرة في حياتي.. وبعد ذلك قضينا معه أيام كانت كأيام السماء على الأرض.

بعدها بأسابيع كنت في القاهرة وكان لي لابد أن آخذ بركة البابا فور وصولي إلى القاهرة.. وقبل أن أذهب إلى أي مكان وقبل أن أذهب إلى منزل والدي بالقاهرة.. لأن البابا كان يقول لي تيجي هنا الأول.. أنا أبوك قبل أبوك بالجسد. فلما سلمت على البابا كعادتي وفرحه برؤياي ومداعبته الجميلة لي.. كان يباركني قائلًا آدي قسيس الأرياف أهه وكنت أقول له يا سيدي أنا مش محصل قسيس الأرياف.. فكان يقول لي صدقني يا إبني فيهم ناس بركة.

وكان يسألني دائمًا إزاي إخواتك.. ففي البداية لم أفهم فقلت له من هم يا سيدي.. فقال أبونا بيشوي وأبونا تادرس.. فقلت له يا سيدي دول آبائي منذ متى كانوا إخوة لي؟.. فكان يدعي لي ويقول أيوة يا ابني الاتضاع كويس، يومها سألني البابا وقال هو أبونا متى جه عندكم.. ولعلمي مما كان من خلافات وتفاديًا للكلام فكرت في نفسي وقلت لم يأت أبونا متى عندنا لا في الكنيسة ولا في البيت. فقلت لا يا سيدنا.. فهو كان يقصد جاء عندكم في الإسكندرية. قال البابا أنت تكذب عليَّ. تغير منظر وجهي واضطربت وقلت يا سيدنا أنا لو كذبت عليك لا أعود آجي إلى هنا.. شعر البابا إني تأثرت..

فربت على كتفي وقال أنت زعلت ولا ايه.. قلت لا يا سيدنا.. عاد البابا يتكلم في أمور أخرى ويضحك معي وبعد دقائق بادرني بسؤال خارج الموضوع وقال مشيرًا إلى القميص الأبيض الذي كنت ألبسه تحت الروب وقال أنت لابس القميص القديم دة؟ كان القميص بأساور وفيه أزرار من فضة كانت عندي قبل أن أرسم كاهنًا وكانت الأساور بيضاء مكوية تبدو غاية في الجدة.

فقلت له دة قديم؟ قال آه قديم.. فأريته إياه وأنا أضحك.. فقال آه قديم والإسورة مقلوبة ومقطوع من جوة، وكان هذا الكلام كالصاعقة على نفسي.. فالقميص فعلًا كان قديم والأساور مقلوبة بعد أن كانت مقطوعة والقطع مخفي من الداخل.

فضحكت بصوت عالٍ وقلت إيش عرَّفك إنه مقطوع، فضحك و قال مش دة القميص اللي كللت بيه.. كان حقًا هو القميص الذي لبسته يوم الإكليل، فهمت ما يقصده البابا الذي أعطاه الرب هذه البصيرة والغيرة العجيبة حتى صار وكأن شيئًا لا يمكن أن يُخفي عليه وقبَّلت يده وخرجت وأنا لا أكاد أصدق ما رأيت وما سمعت، كان نقاء قلبه وطهارة سيرته قد أهله لمعرفة كل شئ.

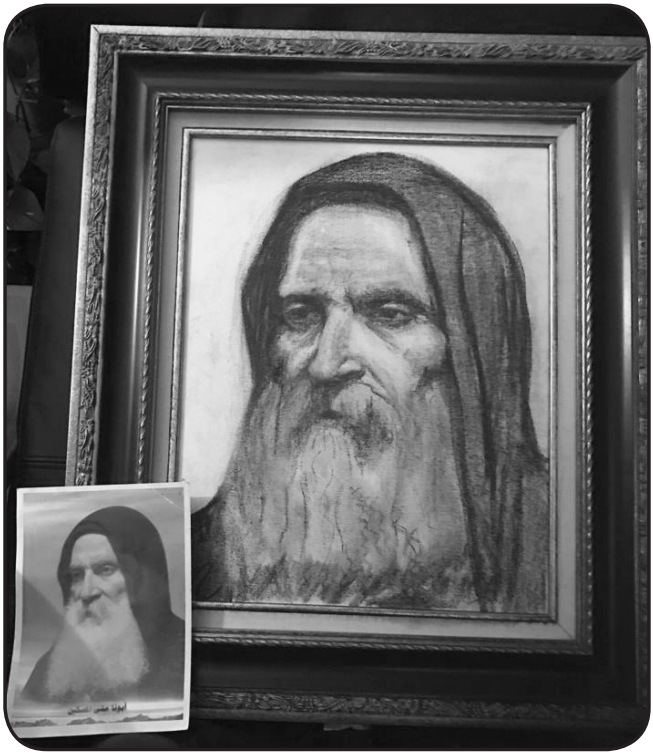

صورة فحم لأبونا متى المسكين

الفصل التاسع

✤ سفر أبونا بيشوي إلى أمريكا

كان سفر أبونا بيشوي كامل إلى أمريكا لأول مرة سنة ١٩٦٩ من الأحداث المؤثرة جدًا ... على شعبه وأولاده ... فقد كان السفر إلى الخارج نادرًا ... وقد حدث هذا السفر في ظروف صعبة تحت تأثير شديد وخوف من أن يناله ضرر أو أذى بسبب تصاعد موجات من إشاعات أنه يُنصِّر المسلمين وروَّجوا لكلام كثير مثير... حتى طالب البعض بقتله وكان الجو في الإسكندرية هكذا متوترًا. وقد طلبت الدولة من البابا أن يسافر أبونا إلى الخارج ولو لفترة حتى تهدأ الظروف ... وقد كان.

وقد سافر أبونا إلى لوس أنجلوس وكانت الاتصالات عن طريق الخطابات التي تصل بعد ثلاثة أسابيع ...وكنا أبونا تادرس وأنا نتلهف على الخطاب ومتى يصل كنّا نقرأه بدموع العين ... وكان أمل رجوع أبونا إلى الكنيسة في مصر أمل ضعيف أو قد نكون فقدنا الأمل. لقد وعدنا البابا كيرلس أن أبونا يسافر لمدة ستة شهور، كنّا نعد الأيام ... انتهت من الستة شهور...

قلنا نذهب إلى البابا وكان وقتها في دير مارمينا.. ذهبنا أبونا تادرس وأنا وألبير نوار والأستاذ عدلي تادرس، تقابلنا مع البابا رحب بنا بأبوة حانية.. تكلمنا عن رجوع أبونا بيشوي.. لم يعطنا جوابًا قاطعًا.. اندفعت في الكلام وقلت للبابا أن الناس بتقول إنك خايف من الحكومة ومش عاوز ترجع أبونا بيشوي.. التفت إليَّ البابا وقال بنغمة حادة.. بتقول إيه؟ خايف من مين؟

قلت له: أنا مالي الناس بتقول.. قال: قول له يرجع ...

تلقفت الكلمة من فم البابا وقلت يعني نكلمه في التليفون، قال كلمه ...

وكانت يومها مكالمة التليفون مُكلفة (٥٣٠ قرش) للثلاثة دقائق. وبعد ذلك تلاطف البابا في الحديث معنا وفي خوض الحديث قلت للبابا انتظر الرب ... فابتسم وقال جمله مزاح لم افهمها.. ثم كررها مبتسمًا وضحك ألبير نوار ... فقال البابا: أنت شقي يا ألبير ... وبعد أن خرجنا قلت لألبير لماذا ضحكت، قال لأن البابا كان يداعبك بالكلام وانت لم تفهم لأنه كان يحور الكلمة ... حجزنا مكالمة للوس أنجلوس واجتمعنا في بيت أحد الأحباء نحو خمسين شخص. وجاءت المكالمة بعد جهد وحاولنا نكلم أبونا وقلنا له البابا يقول ارجع وصار صخب الحاضرين دون أن نوضح الأمر.

في الطريق للمطار

الفصل العاشر

♣ قصة سفري إلى لوس أنجلوس سنة ١٩٨٩

كنت في أيام خدمتي في لوس أنجلوس ١٩٧٧ – ١٩٧٩ ... لما تنيح أبونا بيشوي في مارس ١٩٧٩.. ألم بي حزن لا يُعبر عنه وكان أبونا بيشوي يعزيني ويهون عني فيما أراه وأنا نائم.. لأنه ظل يظهر لي في أحلام يومية أكثر قربًا إلى الواقع المعاش منه إلى الأحلام لأننا كنَّا نتكلم مع بعضنا، كأن شيئًا لم يحدث ونتطارح أحاديثنا العادية فيما هو حادث سواء في الإسكندرية أو في لوس أنجلوس.. بتفاصيل يصعب شرحها ...

وكان الرب قد شملني بهذه النعمة لأني لم أتخيل يومًا أن أعيش بدونه، لأن نفسي كانت متعلقة به وحبه الذي غمرني به كأب وصديق ورفيق عمري.

حتى إني في الأيام الأولى في حلم أقرب إلى الرؤيا.. قلت له وأنا حزين؛ أنا زعلان منك ... أنت ليه تركتني ... فربت على كتفي وقال يا أخي انسى الحكاية دي ما إحنا مع بعض أهو.. سيبك إنت.. لا تضيع الوقت تعال نتكلم.. وهكذا.

في تلك الأيام عزاني الرب وفتح لي أبوابًا ملأت عليَّ حياتي.. كنت أزور مريضًا في مستشفى.. صليت لها ودهنتها بالزيت وفيما أنا خارج من حجرة المريضة، إذ برجل أسمر.. أمريكي سلم عليَّ وقال أنت كاهن؟ قلت نعم.. قال ممكن تصلي لزوجتي المريضة.. قلت بكل سرور.. دخلت حجرة المريضة وصليت.. ثم تبادلنا الحديث.. وتعرَّف عليَّ وقال أحب أن آتي إليك في الكنيسة وفعلًا بعد أيام قليلة جاءني

هو وامرأته بعد أن خرجت من المستشفى.

كلمته بمحبة عن الحياة مع الله من خلال الكنيسة والأسرار.. قبلوا الكلام بفرح شديد.. وبعد أيام جاء لي ثانية ومعه بعض أصدقائه، جلست معهم وقتًا طيبًا حول الإنجيل والتقليد.. ونعمة الحياة في المسيح وكان في غضون أسبوعين أن عددهم صار ما يقرب من أربعين إلى خمسين شخصًا.. وبدأوا يجتمعوا معي مرتين أو ثلاثة في الأسبوع. وقد قَبِلوا الكلام بفرح شديد وصلوات وأصوام وأقلعوا عن العادات القديمة وصار تغير في الحياة أشبه بأيام الكنيسة الأولى.. وكان كل الذين حولي من أبناء كنيستنا يندهشون من عمل الله ويمجدونه.

ولم تمض مدة قليلة حتى قبلوا جميعهم نعمة المعمودية المقدسة بابتهاج وفرح صار في كل النفوس.. وكان ذلك في أواخر الصوم الكبير المقدس، ويذكر الذين عاصروا هذا الأمر. ليلة ابو غلامسيس.. كيف سهروا معنا حتي الصباح وهم في غاية السرور الروحي واشتركوا في الأسرار كمن سَرَت فيهم قوة قيامة المسيح من الأموات وكان قد سبق هؤلاء بأسابيع أن تعرفنا على شاب أمريكي أبيض كان باكورة العمل وقد صار كاهنًا فيما بعد (أبونا بيشوي ميخائيل) .. ولما رأى هذه الجماعة يأتون إليَّ ويجتمعون حولي ويتزايد عددهم كل يوم.. كان يمجد الله ويقول لي أنت لست تعلم من هؤلاء ومن أين هم، المجتمع وعاداته.. لقد كان معظمهم من الفئات الصعبة من العصابات، ومن المدمنين ... إلخ.

وقد استدعاني البابا شنودة لأرجع إلى الإسكندرية بعد نياحة أبونا بيشوي كامل في مارس سنة ١٩٧٩.. وقلت له بعد انتهاء السنة الدراسية للأولاد سأعود، لأنه كان يقول أنا عاوز كنيسة مارجرجس بسبورتنج تظل كما هي قوية ...

فكان الأمر أن رجعت من لوس أنجلوس في أول يوليو سنة ١٩٧٩، وقد ودعني شعب الكنيسة في مطار لوس انجلوس وداعًا تسيل دموعي كلما أذكره وأكثر ما أثر في نفسي هذه الجماعة الجديدة من الأمريكان السود ودموعهم وحبهم الذي أذهل الجميع.

عُدت إلى الإسكندرية بعد عيد الرسل الأطهار لأني مررت في طريق رجوعي على الأحباء في لندن، ثم زرت أبونا صليب سوريال في ألمانيا. وبعد ان رجعت الإسكندرية توالت الأحداث سريعة ففي ليلة عيد الميلاد سنة ١٩٨٠ كانت أحداث القنبلة في كنيسة مارجرجس في سبورتنج وفي سبتمبر ١٩٨١ كان التحفظ والسجن لمدة ٧ شهور وخرجنا لنخدم في كنائس العذراء والملاك والأنبا تكلا دون أن نعود إلى كنيستنا.

وبعد عيد الميلاد سنة ١٩٨٩ ذهبنا كهنة الإسكندرية لنعيد على البابا في دير الأنبا بيشوي وإذ أفاجأ بأن أحد الاخوة السود موجود في الدير (وعلمت فيما بعد أنه بعد أن سافرت ذهب إلى كنيسة الأحباش بلوس أنجلوس وأنهم رسموه كاهنًا وقد جاء إلى مصر مع البابا في عيد الميلاد).

فلما رآني الرجل جري نحوي وعانقني بدموع وحب كبير.. فلما رأى البابا ذلك.. قال من أين تعرفه. فأعلمت البابا ما كان من أمرهم.. فتأثر البابا جدًا وقال لابد أن نعتني بهم ولا نتركهم دعني أرسلك لكي ترعى شئونهم. قلت للبابا إن أذن الرب أذهب إليهم بعد أن يكمل أولادي عامهم الدراسي.

وقد كان وحضرت إلى لوس أنجلوس في أغسطس سنة ١٩٨٩ وكان قد مضى على غيابي عشرة سنوات.. وبالجهد حاولت الوصول إلى بعضهم لأنه لم يكن معي عنوان أحد أو تليفون أحد ولم يكن أحد يرعى أمورهم أو يتابع حياتهم.

وقليل منهم أكمل طريقه، أحدهم شماس يخدم هو وزوجته وابنه وابنته مع أبونا سدراك في ولاية أخرى وآخر أراه كل مدة وقد سبب لي هذا حزنًا عظيمًا.. كمثل حقل كان يبشر بالخير ولما أهمل... مات النبات وزال.

الخاتمة

هذا الفصل من المذكرات، لم يقم قدس أبونا لوقا بكتابته بل كتبه شهود عيان ، ولعام ونصف بعد أن تأكد تشخيصه بورم خبيث في البنكرياس ..

لقد بدأ مرض قدس أبينا يونيو ٢٠١٨ تبعه معاناته من آلام مبرحة بالظهر شهر ديسمبر من نفس العام، وقد أظهرت فحوص طبية عدة تشخيصه بورم خبيث بالبنكرياس، تأكد في السادس والعشرين من مارس ٢٠١٩

ولا يخفى على أحد كم الهلع الذى أصاب من هم حوله ومحبيه، وفى ذات الوقت كان هو يتقبل صليبه بكثير من الشجاعة والروح العالية المملوءة عزاءً. لقد مارس قدس أبينا رسالته مع من هم حوله خلال الشهور التاليه معلمًا ومرشدًا ومعزيًا برغم كل ما كان يعانيه من آلام مبرحه وصفها لأحد أبنائه الروحيين «بالنار» تلهب كل الجسد..

وكم هو جدير بالتأمل أن نقف أمام علاقته وتفاعله الحى مع الأطباء المعالجين والممرضات الساهرات على الرعاية به، نذكر منهم رئيس قسم الجراحة الذى إرتبط بأبينا في علاقة روحية عميقة كان يردد كثيرًا كم هو ممتن يشكر الله أن تقابل مع هذا البار، وبرغم إنشغاله الشديد وإزدحام جدول أعماله كان حريصًا جدًا أن يجد الوقت دومًا لأبينا، لقد كان يتعامل معه كأب خاص به وليس كمريض، وكم تعجبنا من سرعه رده على رسائلنا الإلكترونية

له مجيبًا على كل تساؤل وإستفسار في مزيد من الحب والإهتمام..

أما جراح الجهاز الهضمي، فله قصة إيمان مع أبينا إذ لم يقبل أن يبدأ بمد مشرطه (في شهر مارس ٢٠٢٠) إلا بعد أن يباركه قدس أبونا بالصلاة له ولطاقم فريقه المساعد، فياله من إيمان جعل أبينا يشعر بالراحة والفخار نحو هذا الجراح الذي شعر أبونا وكأنه أحد أبنائه، ولا سيما وقد أظهر هذا الطبيب الحلو إهتمامًا فائقًا حتى سمح للأسرة بالإتصال بتليفونه الخاص والمباشر أي وقت يحتاجونه أو يحتاجه قدس أبينا المبارك..

كم كان هذا الجراح رقيق المشاعر حين تأثر أبونا بالإجراء الجراحي حتى تداعت الأمور وتأزمت للدرجة التي عرضت قدس أبينا إلى الإقتراب من أزمة قلبية وصعوبة في التنفس، تأسف لأبينا إذ عرضه لإجراء جراحي كهذا، وبذكاء وفى دعابة حلوة إستغل أبونا الموقف إذ طالت فترة بقائه بالمستشفى، وقال للطبيب إذًا لتصلح الخطأ بأن ترسلنى إلى المنزل توًا، هذا مع ملاحظة تشابه لفظة الكلمتين (أخطأ، وأرسل) بالإنجليزية (Sinned & Send)

ولم يبخل أبونا على هذا الطبيب الرقيق بما هو أعظم إذ كلمه كثيرًا في الإيمان وجمال الكنيسة القبطية ومقدار تعلقه بمحبة المسيح القدوس، وكم أثنى عليه وأشار كثيرًا إلى محبته، وكم كان الطبيب شغوفًا أن يتتلمذ حتى كان يترك مهامه ليقضي الوقت بالساعات مع أبينا، نعم، لقد كان الطبيب سخيًا في عطاء الوقت وإعطاء أبينا شرح ما قد يغيب عنه في أمر طبيعة المرض بكثير من

التفاؤل عكس آخرين، وكان أبونا كصياد ماهر يرمي بشباكه لربح المسيح الذي أحبه وكرس حياته لخدمته..

✤ مسحة الموت:

هل يمكنك أن تتخيل مقدار ألم أبينا من أن يحرم من حضور قداس عيد نياحة أبيه الروحي البابا كيرلس السادس شفيعه؟ لقد منعه قيء دموى حاد صباح التاسع من مارس ٢٠٢٠ من الحضور وكان علينا نقله إلى مستشفى قريب فورًا إذ تعذر نقله إلى «مدينة الأمل» لعدم توفر أسرة بها ولتعذر وصعوبة نقله، ووسط آلامه وربكة الموقف المفاجيء يفاجئنا أبونا بإهتمامه بزائر من خارج الولاية آتى اليوم لرؤيته، وكم نعجب حقًا كيف له أن يكلف إبنته بإستقبال أبنه الروحى هذا في المستشفى ليعطيه من وقته رغم حرج الحالة وشدة الموقف، هذا هو أبونا البار وهكذا كانت علاقته فريدة عميقة بأبنائه..

وللقصة بقية، إذ تم نقلة إلى مستشفى «مدينة الأمل» بعد يومين حيث إستوجب دخوله إلى وحدة العناية المركزة بعد أن أعلن الأطباء حرج حالته التي قاربت الموت (الكود الأزرق - حسب التعبير المتداول بالمستشفى)، وكم كان معزيًا للأسرة أن يؤمن الجراح المعالج بقوة الصلاة ويطلبها في جراحة حرجة كهذه، مواجهًا تحدي البحث عن مصدر النزيف الداخلى والذي نتج عن العلاج الإشعاعي، صلينا من أجل الطبيب الجراح والفريق المساعد

وصلينا من أجل أبينا المنهك الوهن من شدة المرض والألم، وصلي هو من أجل أن يتشدد إيماننا وتفرح قلوبنا، وما هي إلا ساعة حتى خرج علينا الجراح بالبشرى وبنجاح الإجراء الجراحى في الوصول إلى مصدر النزيف الذي كاد يقضى بالأمر، لقد كان أبينا قريبًا جدًا من موت محقق لولا التدخل السريع ووقف هذه القنبلة الموقوته داخل جسده الضعيف، وكم كان مخيفًا أن يتكرر الأمر بدون أي إنذار مسبق فتعرض لإعادة الإجراء الجراحى للمرة الثانية قبل خروجه للتأكد من سلامة الحال.. بلا شك هي بركة الصلاة وقوتها وشفاعة البابا كيرلس القديس..

ومع مواجهة الموت كم كان شجاعًا غير هياب البتة، نعم لقد خرج من المستشفى في ١٨ مارس ٢٠٢٠ وقد بدأ الإعلان عن وباء الكورونا وإغلاق المدارس والكنائس وتعطيل أوجه النشاطات، وتقابل من خلال النت وبرامج الزووم وأولاده في اجتماع للشباب حيث حدثهم بقوة عن خبرته في مواجهة الموت وكيف لا يخشاه بل يثق في الحياة في المسيح القدوس وقوة القيامة وفاعليتها، فما هو «الوباء» أمام فاعليه الحياة فينا.. هذا درس عملى صادق سلمه لأبنائه الشباب وخبرة روحية حية ستبقى معهم..

❖ رائحة، هي رائحة الله والسماء:

وكيف يمكن أن ننسي شهادة تلك الطبيبة التي كانت تباشر حالته بإهتمام كانت تهتم بتفاصيل علاجه في تدقيق شديد، هي من أصل روماني شرقي، تصادف وقوفها مع ممرضة بإحدى طرقات المستشفى وقت أن دلف أبونا حال خروجه منها، لقد كان أبينا مهيبًا في طلعته رغم ضعف جسده مهابًا بفاروجيته الطقسية وزيه الكهنوتى الجميل حتى رجعت الطبيبة إلى الخلف في حال إندهاش شديد حتى كادت ترتطم بالحائط خلفها وهى تردد : «أووووه، رائحتك هي رائحة الله القدوس».. نعم، هي رائحة المسيح الذكية التي طالما حدثنا وكتب عنها، لقد حمل أبونا رائحة المسيح الذكية فيه حين مر أمام الطبيبة إلى الحجرة المجاورة ليصلى لمريض آخر من أولاده الأقباط، وكل من تعامل معه إشتم فيه رائحة السماء..

❖ تعاملاته مع الممرضين والممرضات:

لقد شعر كل العاملين بالمستشفى ببركة هذا الكاهن البار، ولم تشغله هو حالته الصحية ولم تمنعه أن يهتم بكل أحد، هكذا قضى شهوره الأخير مباركًا كل من تقابل معه..

كيف ننسى دموع تلك الممرضة وقت أن إنحنت تحت يده يصلى لها بالبركة، هي من أصل هندى وعانت سابقًا من السرطان وإختبرت آلامه، وكم تأثرت ببركة أبينا وحنان أبوته..

وأخرى لاحظ أبونا نشاطها وهمتها وحنوها على المرضى، وهو دائمًا المشجع الذى يمتدح أولاده ويفرح قلوبهم فراح يثنى على روحها الطيبة النشيطة ملفتًا نظرها إلى الأجر السماوى الذي حتمًا ينتظرها ولهذا فلابد أن تتعامل مع مرضاها وكأنها ترى المسيح القدوس فيهم، وهكذا فرحت بأبينا وتأثرت بطيبة قلبه فأعطت آذانًا أكثر لكلمة الله وبعيون دامعة كانت تقضى الوقت تستمع إلى كلمات النعمة على فمه المبارك، وبقدر إحتياجها كانت تأخذ شاكرة لأبينا محبته وعطائه الذى كانت تفتقده..

ولن ننسي مساعدة العلاج الطبيعي التي لم تكن لتصدق أن تأخذ بركة صلاته قبل يومين فقط من رحيله وقد أنهكه المرض تمامًا، كانت تزوره بالمنزل لمساعدته وتقضى معه وقتًا طويلًا، حين حانت لها الفرصة لكى يباركها، ومن بعيد (بسبب ظروف الوباء) صلى لها أبونا رافعًا يديه نحو السماء بصوت لا يُسمع وهي منحنية في خشوع، وبعد أن أنهى صلاته الصامته رشمها بعلامة الصليب التي سرت قوتها في داخلها حتى صرحت في فرحة أنها لا تشعر بألم كان يعتصرها جراء فقدان إبنتها منذ خمسة أعوام، إنها الآن تشعر بالسلام وتنعم بالتعزية والفرح العجيب..

✤ أنا عطشان:

كان له فكر المسيح وبه يحول كل شيء إلى إختبار روحى، حتى أوامر الطبيب له بعدم شرب المياه فترة ما بعد الإجراء الجراحى لوقف النزيف تحمل آلامه في صبر عجيب، كان عطشانًا جدًا لا من عدم السماح له بالشراب فحسب بل من كثرة ما فقد من دم نزفه، هذا الإختبار حوله إلى رحلة مع المصلوب: (أنا عطشان)، وفرح بهم يسمحون له فقط بأن يبلل شفتيه بمسحة من ماء، ليس من ألم أشد من آلام العطشان جراء النزيف، وكم تحملت يا يسوع من أجلي..

✤ الجمعة العظيمة والأخيرة:

قضاها أبونا مع أسرته يتابع صلوات الساعتين السادسة والتاسعة من خلال برنامج «زووم» بعد أن أجبر وباء الكورونا الجميع بغلق الكنائس والأنشطة الأخرى كإجراء إحترازي، وكم تعجب لإصراره أن يرفع البخور لأيقونه الصلبوت في أوقاته حتى إنه قد طلب من إبنته أن تحضر له الشورية والبخور حيث تركها منذ فترة طويلة بحقيبة السيارة، ويالها من مفاجأة أن تجد بطارية السيارة وقد ماتت من طيلة عطلتها حتى حاولت الإستنجاد بورشة قريبه لمساعدتها فتح السيارة، كان أبونا ينتظر في لهفة حتى يتمم الطقس الجميل ويأخذ بركته، وطال الإنتظار، وفجأة، لاحظت الإبنة حقيبة أخرى بالجراج تحوى شورية وبخور كانت لها النجدة

التي أسرعت بها لأبينا الذى قام برفع البخور أمام الأيقونة مرتديًا البرنس والشاملة، في طقس مبهج جميل..

❖ نشكرك على كل حال:

يوم الخامس والعشرين من أغسطس كان في حال إنهاك كامل جالسًا تحت تأثير مسكن للألم في حال الاوعي، كان مفتوح العينين مركزًا نظره نحو صورتين للبابا كيرلس وأبينا بيشوى كامل، كان وكأنه في حال دهش روحى ولم يعط أي إلتفاتة إلا للصورتين المثبتتين على حائط أمامه، غير ملتفت إلى أي من حوله، هكذا بقى على هذا الحال ساعات..

وفي ساعة متأخرة من الليل بدأ يتكلم ويشكو ضيقًا في التنفس، وطلب لو أحضروا له الاكسجين، ثم طلب من إبنته أن تساعده أن ينتقل إلى سريره، حضنها متعلقًا بكتفيها رابتًا على ظهرها في حنان أبوي، وما أن إستلقى على سريره حترفع كفاه نحو السماء ثم قبل يديه شاكرًا باطنها وظهرانيها علامة الشكر في الخفاء والعلن في السراء والضراء. وفى تمام الواحدة وخمسين دقيقة من فجر ٢٦أغسطس ٢٠٢٠ رحل أبونا القمص لوقا سيداروس إلى المسيح القدوس الذى عاش له كل الحياة شاكرًا فضله ونعمته وعمله معه..

✤ رسالة تشجيع:

كان هو المشجع الباعث دومًا على الأمل والتفاؤل بين أسرته، هكذا تذكر لنا الأسرة كيف إستمر بعد رحيله معزيًا ومشجعًا، كانت تاسونى نادية زوجته الفاضله تتلقى مكالمة تليفونية يبدو أن صاحبها قد أثار شجون وذكريات أتعبت تاسونى، حينها لاحظت إبنتها خطابًا لأبينا تركه على مكتبه طالعته قول ربنا القدوس: (لا تضطرب قلوبكم)، وكم تعزت تااسونى للرسالة الجميلة وكم فرحت الأسرة وتأكدت أن روح أبينا البار لم تتركهم..

✤ الآية:

ولا نؤمن إلا بتدبير ضابط الكل للأمور حيث لا صدفة إطلاقًا، هكذا تحكى لنا الأسرة عن عجب قصة أخرى حين كانوا يضعون صيغة بطاقة الدعوة لصلوات التجنيز بينما ينقل لهم تسجيل علي النت «عظة قديمة بصوت أبينا»، كانوا يتباحثون في أمر الآية المناسبة كعنوان للدعوة ففاجئهم أبونا بالآية من أشعياء الذى أحبه وردد آياته كثيرًا حتى حفظ معظم إصحاحاته كاملة، الآية تقول: (إلى إسمك وإلى ذكرك شهوة النفس..)

وياله من تدبير عجيب أن يختار أبونا الآيه بنفسه ، وتعجب بالأكثر أن تحمل الآية رقم «أشعياء ٢٦ : ٨»، أي تاريخ نياحة البار القديس في السادس والعشرين من شهر أغسطس الثامن بين شهور السنة..!!

وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى، أمين.. وكم نثق في قيامة الرب تجمعنا قريبًا بأبينا المحبوب لننعم بالمجد في الملكوت..

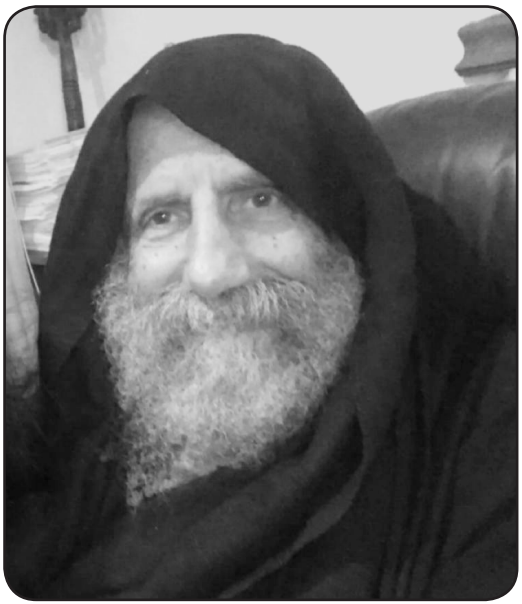

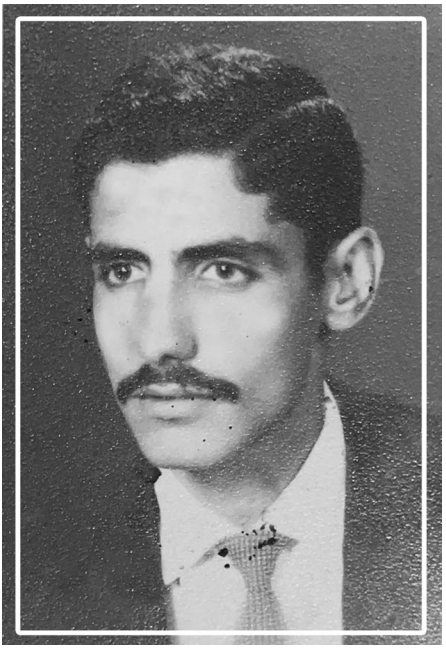

هذه بداية لا نهاية لها أبدًا .. أمين .

أبونا مع والدته وأخته (فيفي)

أبونا مع والدته وأخوته وأخواته

الجمعة العظيمة والأخيرة

ISBN 978-1-956395-01-3
9 781956 395013
90000>